٢١

الوحدة الوطنيَّة والإسلاميَّة في فكر الإمام الخليلي من خلال مواقفه وصِلاته بأعلام عصره

أ. محمَّد بن أحمد جهلان
أستاذ مساعد بكلية الآداب، جامعة غرداية - الجزائر
djehlanem@gmail.com

ملخَّص:

من خلال المادَّة العلميَّة التي لم ير أغلبها النور، ومن خلال مراسلات مخطوطة، ومقالات منشورة في صُحف العشرينيَّات والثلاثينيَّات، ومن خلال قصائد المدحِ والثناءِ والرثاءِ التي كتبها أهلُ المغرب الإسلاميِّ في شخص الإمام محمَّد بنَ عبد اللَّه الخليلي، تحلل الورقة موضوع الوحدة العُمانيَّة والإسلاميَّة لدى الإمام؛ وبيان الظروف الاجتماعيَّة والاقتصاديَّة في فترة إمامته، والبعد العقديِّ لمسألة الوحدة في فكره، ووحدة الصفِّ العُمانيِّ، وإصلاح ذات البين، والجنوحُ للسلم، آخذين معاهدة السيب نموذجًا، وكذلك وحدة التراب الوطنيِّ العُمانيِّ واستقلاله "من ظفار إلى قطر". وأبرزت الورقة أيضا بعض مواقف الإمام من خلال صلاته بأعلام عصره، من عمَّاله وأعيان القبائل في مناطق إمامته، وبمشايخ الإباضيَّة خارج عُمان، وبأعلام الحركة الإصلاحيَّة في العالم الإسلاميِّ، وبحكَّام الدول الأخرى (السعوديَّة وبريطانيا نموذجًا). تووصَّلت الورقة البحثيَّة إلى أنَّ وَحدة التراب العُمانيِّ واللحمة الوطنيَّة تُعدُّ مسألةً جوهريَّة في فكر الإمام الخليلي؛ هذه الوحدة التي لا تنفكُّ تنبع من تصوُّر شامل لمسألة الوحدة الإسلاميَّةَ التي حثَّ عليها الإسلام. فكان الإمامُ الخليليُّ حريصاً على تماسُك العُمانيِّين وتلاحُمهم بشتَّى طوائفهم ومذاهبهم، شعوريًّا وفكريًّا وجغرافيًّا أمام أطماع بعض دول الجوار، أو التهديدات الاستعماريَّة الأجنبيَّة. فاهتمَّ بإصلاح ذات البين، وجنح إلى السَّلم والصلح والإصلاح، لِمَا كان يؤمن به من أهمِّيَّة الوحدة والاتِّفاق، وخطورة الفُرقة والشِّقاق. هذا الفكر الوحدويُّ عند الإمام لم يكن وليد نظرة آنيَّة محلِّيَّة ضيِّقة الأفق، بل كان وراءها عقيدةٌ راسخةٌ وتصوُّرٌ شموليٌّ لمسألة وحدة المسلمين

التي بدونها لن يتحقَّق لهم التطوُّر والتمكينُ في الأرض، فكان - رحمه الله - مهتمًّا بأحوال المسلمين في بلاد المغرب الإسلاميِّ، مُتتبِّعًا لشؤونهم، ومُجيبًا عن أسئلتهم ورسائلهم، حريصًا على وحدة صفِّهم واجتماعِ كلمتِهم، وكلِّ ما فيه صلاحُ دنياهم وآخرتهم.

كلمات مفتاحيَّة: الإمام الخليلي. الوحدة. الوطنيَّة. الاستقلال. العلاقات الدوليَّة. معاهدة السيب.

مقدِّمة:

يلحظ المتأمِّلُ في التاريخ العُمانيِّ بروز شخصيَّات لعبت دورًا بارزًا في صناعة أحداثه، وتركت أثرًا عميقًا ما يزال ظاهرًا إلى اليوم، وهو لَمُّ شعث الأمَّة وتوحيد صفِّها، والنهوض بها إلى مراتب الرشاد والنضج، ولعلَّ من بين أبرز هذه الشخصيَّات في العصر الحديث شخصيَّة الإمام العادل التقيِّ الرضيِّ محمَّد بن عبد الله الخليلي، الذي ما نزال نسمع ونقرأ من جمع مبارك من المشايخ والعلماء ممَّن أدركه فنهل العلم من مدرسته العلميَّة يروي بخشوع وإجلال وهيبة نُتفًا عن سيرته الحسنة، وأخلاقه العالية، وعدله بين الرعيَّة، واهتمامه بالعلم وأهله، وبُعد النظر مع الحزم والعزيمة، وكلُّ ذلك اجتمع للإمام لتقواه وورعه، وللتنشئة الطيِّبة التي حُظي بها، ثمَّ بمحافظته على سِيَر المتقدِّمين، وباستمساكه بالعروة الإلهيَّة الوثقى التي لا انفصام لها.

بدأت صلتي بموضوع هذا البحث في خضمِّ التنقيب والبحث عن النصوص التي تجسِّد التواصل الفكريَّ والثقافيَّ بين عُمان والجزائر في العصر الحديث[1]، وقد عثرت في بعض خزائن وادي مزاب بالجزائر على رسائل مخطوطة بين الإمام وعلماء الوادي، سواء ما كان منه أجوبة على مسائل فقهيَّة أو ما كان في الوصايا العامَّة للمسلمين ببلاد المغرب بالتمسُّك بحبل الله المتين، وبالوحدة ونبذ الفُرقة والشقاق، ثمَّ اطَّلعت بعد فترة على قصائد مهمَّة قيلت في مدحه والثناء عليه تبجيلاً واعتزازًا بإمامته، ثمَّ على قصائد أخرى في رثائه والتحسُّر على ما نُكبت به الأمَّة بفقده، وعلى مجموع أجوبته المطبوعة في كتاب: "الفتح الجليل من أجوبة الإمام أبي خليل"... فأدركت من خلالها قيمة هذا الرجل ومكانته العلميَّة والسياسيَّة في تاريخ عُمان والتاريخ الإسلاميِّ بشكل عامٍّ، ثمَّ ما لبث هذا الإعجاب أن اصطدم بحيرة تجاه قلَّة الدراسات المنجزة عن هذه الشخصيَّة العظيمة وفترة إمامته الطويلة التي استمرت خمسًا وثلاثين سنة، فكان ذلك دافعًا إلى التركيز على هذا الموضوع ومحاولة تسليط الضوء عليه.

أمَّا العامل الآخر الذي حدا بي لمباشرة هذا الموضوع فهو اطِّلاعي مؤخَّرًا على

---

١) هو موضوع دراستنا للدكتوراه والذي يحمل عنوان: "التواصل الفكريُّ والثقافيُّ بين الجزائر وعُمان، من خلال المنجز الأدبيِّ المشترك من سنة ١٩١٠م إلى سنة ٢٠١٠م".

مجموع مخطوط لرسائل الإمام الخليلي[1] وأجوبته وأحكامه التي كانت بينه وبين عماله فيما يخصُّ شؤون الحكم والسياسة، وهو ما ينبئ بحكم رشيد وحكمة رائدة في إدارة شؤون الدولة بنظر ثاقب وفكر متوقِّد، ما جعلنا نؤمنُ بأنَّ هذه المراسلات تستحقُّ دراسة مستقلَّة تُعنى بسبر أغوار مضامينها: اللغويَّة والتواصليَّة والسياسيَّة والشَّرعيَّة والفكريَّة.

وفي هذه الدراسة سنحاول الاقتراب من الحضرة الشريفة لسيرة هذا الإمام العالم العامل، بالتركيز على ملاحظة محوريَّة خرجنا بها من خلال قراءة تراث الإمام، وهي مسألة حرص الإمام على وحدة الصفِّ الداخليِّ العُمانيِّ ووحدة المسلمين مشرقًا ومغربًا حول كتاب الله العزيز وسنَّة نبيِّه الأمين.

تُعدُّ مسألةُ وَحدة التراب العُمانيِّ واللحمة الوطنيَّة مسألةً جوهريَّة في فكر الإمام محمَّد بن عبد اللهَ الخليلي؛ هذه الوحدة التي لا تنفكُّ تنبع من تصوُّر شامل لمسألةَ الوحدة الإسلاميَّة التي حثَّ عليها الإسلام بمُحكم الآيات وصحيح الأحاديث. فكان الإمامُ الخليليُّ حريصًا على تماسُك الشعب العُمانيِّ وتلاحُم أفرَاده بشتَّى طوائفه ومذاهبه، شعوريًّا وفكريًّا وجغرافيًّا أمام أَطماع بعض دول الجوار، أو التهديدات الاستعماريَّة الأجنبيَّة.

وكان الإمامُ حريصًا على وحدة الصفِّ، وجمع الكلمة، ورأب الصدع، ونبذ الخلاف المذهبيِّ والنزاع القبليِّ؛ فاهتمَّ بإصلاح ذات البين، وجنح إلى السَّلم والصلح والإصلاح في معاهدة السيب، لِمَا كان يؤمن به من أهمِّيَّة الوحدة والاتِّفاق وخطورة الفُرقة والشِّقاق. هذا الفكر الوحدويُّ عند الإمام لم يكن وليد نظرة آنيَّة محلِّيَّة ضيِّقة الأفق، بل كان وراءها ـ كما أسلفنا ـ عقيدةٌ راسخةٌ وتصوُّرٌ شمولي لمسألة وحدة المسلمين التي بدونها لن يتحقَّق لهم التطوُّر والتمكينُ في الأرض، فكان – رحمه اللهَ – مهتمًّا بأحوال المسلمين في بلاد المغرب الإسلاميِّ، مُتتبِّعا لشؤونهم، ومُجيبا عن أسئلتهم ورسائلهم، حريصًا على وحدة صفِّهم واجتماعِ كلمتِهم، وكلِّ ما فيه صلاحُ دنياهم وآخرتهم.

---

١) مجلَّد مخطوط بيد يحيى بن ناصر بن حميد بن سعيد الراشدي: "رسائل الإمام الخليلي" وبعض أحكام الإمام والمراسلات من أشياخ عُمان. حرِّر سنة ١٤٠٦هـ. (نسخة مصوَّرة من المخطوطة).

الظروف الاجتماعيَّة في فترة إمامة الخليلي:

المجتمع العُمانيُّ قائم أساسا على نظام قبليٍّ عريق، ويتكوَّن من عدد من القبائل العربيَّة، والقبيلة هي "وحدة سياسيَّة ذات شأن وشيخها أو أميرها يتكلَّم باسم جميع الرؤساء الذين هم دونه، وهم يعزِّزون سلطته بتأييدهم له"[١]. وكان ولاء القبيلة لشيخها ولاءً مطلقًا، لثقتهم في قدرته على إدارة أمورها، فكان أفرادها يتبعون ولاءه السياسيَّ أينما كانت وجهته، وسبَّب هذا التعصُّب القبليُّ صراعات ولَّدت أحزابًا متنافسة أو متناحرة بسبب أو بغير سبب. وفي القرن الثاني عشر الهجري انقسم المجتمع العُمانيُّ إلى حزبين متناحرين: "هناويَّة" و"غافريَّة"، ما شكَّل تصنيفًا جديدًا للعرب، يضاف هذان الحزبان إلى التصنيف التقليديِّ: "قحطانيٌّ"، و"عدنانيٌّ" و"قيسيٌّ" و"يمنيٌّ"...[٢].

ولم يختلف الوضع في دولة الإمام الخليلي؛ إذ كانت الزعامة القبليَّة سمة بارزة في الحياة الاجتماعيَّة؛ فالقبيلة ومن يتبعها من الأحلاف كانت تُدار بواسطة زعيمها، والزعيم خاضع لسلطة الإمام، وهذا الأخير مُبايَعٌ على السمع والطاعة، والكلُّ في الأحكام الشَّرعيَّة سواسية، يسلِّم شيخ القبيلة للإمام كلَّ من تثبت إدانته بجرم يستوجب حدًّا شرعيًّا. وفي عهد الإمام الخليلي كان زعيم حلف "الهناويَّة" هو الشيخ سليمان بن حمير النبهاني، وكان زعيم حلف "الغافريَّة" الشيخ عيسى بن صالح الحارثي، حتَّى وفاته سنة ١٣٦٥هـ/١٩٤٥م.

ومن الناحية العلميَّة فإنَّ الثقافة في الفترة التي سبقت إمامة الخليلي كانت متدنِّية إلى حدٍّ كبير، فكان الجهل المتولِّد عن الفقر والفتن هو الطابع السائد والمنتشر. وعلى الرغم من هذه الحالة الاجتماعيَّة والثقافيَّة المتردِّية فإنَّ الإمام قد حاول الحفاظ على الشعلة من أن تنطفئ، فكانت مدرسته التي أنشأها بنزوى قبلة للطلبة، يؤمُّونها من شتَّى البلدان، وقد قام الإمام الخليلي بإحضار العلماء لتدريس هؤلاء الطلبة، وكان يولي الطلبة اهتمامًا خاصًا ويغرس في نفوسهم حب

---

١) عبد الله، محمَّد مرسي: إمارات الساحل وعُمان والدولة السعوديَّة، ١٧٩٣-١٨١٨، نشر المكتب المصري الحديث، القاهرة، مصر، د. ط، ١٩٧٨م، ص٥١.

٢) ينظر مصطلحا الهناوَّية والغافريَّة: مجموعة من الباحثين: معجم مصطلحات الإباضيَّة، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الدينيَّة، مسقط، سلطنة عُمان، ط١، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م، ج٢، مصطلح: الهناويَّة، ص: ١٠٤٣، ومصطلح الغافريَّة، ص: ٧٧٢.

العلم، وكان يسهر على رعايتهم؛ فيطعم جائعهم، ويواسي مريضهم، ويحرص على تفرُّغهم لطلب العلم حتَّى تخرُّجهم، ثمَّ يوزِّعهم بعد ذلك بحسب احتياجات دولة الإمامة؛ في القضاء، وجباية الزكاة، وتعليم الناشئة... فارتقى المستوى الثقافيُّ والعلميُّ، ممَّا كان له أثر فيما بعد في نبذ التعصُّب المذهبي، والترفُّع عن النعرات القبليَّة والشعور بالهوِّيَّة والانتماء للأمَّة.

الأوضاع الاقتصاديَّة في فترة إمامة الخليلي:

لم تكن الحالة الاقتصاديَّة قبيل مدة إمامة الخليلي أحسن من الحالة الاجتماعيَّة والعلميَّة، فعلى الرغم من كثرة السلع التي كان العُمانيُّون ينتجونها ويتاجرون بها عبر البحر شرقًا وغربًا، فإنَّ الاقتصاد العُماني في عهد الإمام الخليلي كان ضعيفًا وراكدًا إلى حدٍّ ملموس، ويمكن إرجاع هذا التدهور إلى أسباب عدَّة، نذكر منها:

- مخلَّفات الحرب القبليَّة، وتبعات الصراع الداخليِّ الذي أنهك الأفراد، وتسبَّب في إحراق كثير من المزارع، وضياع كثير من المصالح والأموال.

- الانقسام في عُمان بين حكومة مسقط وإمامة عُمان، والضرائب الجمركيَّة المفروضة على انتقال السلع بين المنطقتين، قلَّص من المبادرات التجاريَّة بشكل ملموس، وعمَّق العوز المادِّيَّ، فقد اتُّخذت الضرائب الجمركيَّة وسيلة ضغط اقتصاديٍّ لإرغام الإمامة على قبول شروط المفاوضات، فهذا "الميجر وينغيت"[1] ممثِّل الدولة البريطانيَّة يقول: "لقد بدا لي أنَّ هناك طريقة واحدة لحمل العُمانيِّين على التعقُّل، لقد كانوا مجبرين على تصدير تمورهم، ولا بدَّ أن نجعله مستحيلاً تقريبًا، أو على الأقلِّ مكلِّفًا جدًّا، ولن يستطيعوا الردَّ، فربَّما يتغيَّر موقفهم وينتحوا على مناقشة تسوية معقولة"[2].

- تحكُّم الأجانب في كثير من التعاملات التجاريَّة ومنافستهم للعُمانيِّين في تكوين رؤوس الأموال، وأبرز مثال على ذلك التجَّار الهنود المقيمون على امتداد الساحل العُمانيِّ، "في سنة ١٣١٨هـ الموافق ١٩٠٠م كان مجموع التجَّار الهنود في عُمان

---

١) "Wingate" القنصل السياسي البريطاني الذي وصل مسقط سنة ١٩١٩ خلفا لهيوارث.

٢) غباش، حسين عبيد غانم: عُمان الديمقراطيَّة الإسلاميَّة، تقاليد الإمامة والتاريخ السياسي الحديث ١٥٠٠-١٩٧٠"، نشر دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٦، ص٢٩٣.

يبلغ حوالي ٣٨٠ تاجرًا، منهم ٢٥٠ يقيمون في العاصمة مسقط، و٣٧ في مطرح، و٢٨ في صور، والباقون موزَّعون على المدن الساحليَّة الأخرى"[١].

- مواكبة فترة إمامة الخليلي للحربين العالميَّتين الأولى (١٩١٤ ـ ١٩١٨م) والثانية (١٩٣٩ ـ ١٩٤٥م) فقد تأثَّر الاقتصاد العالميُّ بصفة عامَّة بظروف الحرب، ولم يكن الاقتصاد العُمانيُّ بمنأى عنه، وهذا التأثير لم يصب مناطق الساحل فحسب، بل شمل المناطق الداخليَّة كذلك[٢].

البعدُ العقديُّ لمسألة الوحدة في فكر الإمام الخليلي:

قبل التطرُّق إلى مواقف الإمام الرضيِّ محمَّد بن عبد الله الخليليِّ وما يستشفُّ منها في مسألة الوحدة الوطنيَّة والوحدة الإسلاميَّة، نرى من الضروريِّ البحث عن الأساس والمنطلق والمحفِّز الذي يحذو بالإمام الخليلي إلى اتِّخاذ هذه المواقف، وسوف نلاحظ أنَّ جميع صلاته ومراسلاته الداخليَّة والخارجيَّة تنبع من عقيدة واحدة، ومنهج فكريٍّ واحد تكوَّن عليه الإمام ونشأ وفْقَه، وكلُّ المخرجات التي تحقَّقت في حياته قولاً وفعلاً هي مترتِّبة ومنبثقة أساسًا من هذا الفكر الراسخ والعقيدة الثابتة.

يختلف تصوُّر الأفراد والمجتمعات لمفهوم الوحدة، فهناك من يؤمن بالوحدة على أساس المصلحة السياسيَّة، ومنهم من يؤمن بفكرة الوحدة العرقيَّة القوميَّة، ومنهم من يؤمن بوحدة الانتماء القبليِّ أو الجغرافيِّ أو الطبقيِّ، أو حتَّى ما يعرف بالتاريخ المشترك...[٣]. إلى غير ذلك من أنواع الوحدة، ولكنَّ هذه التصوُّرات للوحدة ليس أيٌّ منها معتمد الإمام ومرجعه، فالإمام الخليلي قرآنيُّ المنهج والحياة، والقرآن لا يَرى في أيِّ شكل من هذه الأشكال المذكورة عاملاً حاسمًا للوحدة والنصر، ولكنَّه في المقابل يرى أنَّ وحدة القلوب على طاعة الله هي الرابط الحقيقيُّ؛ لأنَّ الله هو الذي يؤلِّف بين القلوب وليس البشر، فتلك الوحدة الحقيقيَّة هي تلك التي لو أنفق

١) الشكيلي، إبراهيم بن محمَّد بن حامد: مدرسة الإمام محمَّد بن عبد الله الخليلي وأثرها في نشر العلم، د. ن، د. م. ن، ط١، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م، ص٢٦.

٢) تنظر صورة للنسخة الأصليَّة من معاهدة السيب أو اتِّفاقية السيب في ملحق الوثائق في آخر البحث.

٣) ينظر: التسخيري، محمَّد علي: حول الوحدة والتقريب، المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلاميَّة، إدارة النشر والمطبوعات، طهران، إيران، ط١، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م، ص: ١٧.

البشر ما في الأرض على تحقيقها بالعوامل المادِّيَّة ما تحقَّقت، قال تعالى: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (سورة الأنفال: ٦٣).

فما هي أسس "وحدة القلوب" يا ترى؟ إنَّ لها باختصار أساسين اثنين: العقيدة العمليَّة الحيَّة، والعاطفة القائمة على أساس عقديٍّ. الوحدة تقوم بالإيمان النافذ الواعي إلى الأحاسيس، المحرِّك للعاطفة تجاه كل من يحمل نفس الشعور، وهو ما تختصره الآية الكريمة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ (سورة مريم: ٩٦)، "وعندما يعمل الإيمان والعاطفة المؤمنة على شدِّ القلوب، ويرفدها توفيق الله ومدده، فلن تنفصم هذه الوحدة، وهي بالتالي تصنع الأعاجيب والمعاجز، كما صنعتها في عصر صدر الإسلام"[1]. لقد صاغ القرآن الكريم مقوِّمات الوحدة، ووضع الضوابط التي تحقِّقها مهما تغيَّرت الأزمان والأوطان، يقول الله جلَّ جلاله: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ * وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (سورة آل عمران: ١٠٣-١٠٥)، ويقول كذلك: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (سورة الأنفال: ٤٦). وجاءت الأحاديث النبويَّة مؤيِّدة لهذا الحكم الربَّاني، داعية إلى رتق الفتق وجمع الشمل، داعية إلى إصلاح ذات البين والتعاون والائتلاف، ومحذِّرة من الشقاق والافتراق، فقال الرسول ﷺ: "الجماعة رحمة والفرقة عذاب"[2]، وقال كذلك: "يد الله مع الجماعة"[3]، وقال: "إنَّ الله يرضى لكم ثلاثًا ويكره لكم ثلاثًا: يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا، وأن

---

١) المرجع نفسه، ص: ١٨.

٢) رواه أحمد في مسند الكوفيِّين، عن النعمان بن بشير، رقم: ١٨٤٧٢، ج٤، ص٢٧٨. وينظر: اطفيَّش، امحمَّد بن يوسف: جامع الشمل في أحاديث خاتم الرسل، مكتبة الاستقامة، روي، د. ت. ن، ج١، ص: ١٣١.

٣) رواه الترمذيُّ في كتاب الفتن، باب لزوم الجماعة، عن ابن عبَّاس، رقم: ٢١٦٦. وقال: "حديث حسن غريب لا نعرفه من حديث ابن عبَّاس إلا من هذا الوجه".

تعتصموا بحبل الله، ولا تفرَّقوا..."[١].

ومن هذا المنطلق الإيمانيِّ العميق تصدر المدرسة الفكريَّة التي ينتمي إليها الإمام الخليلي؛ مدرسة فكريَّة تتَّسم بالتسامح والبعد عن التشنُّج والتنابز، فمدرسة الإباضيَّة التي يصدر من مبادئها الإمام نجدها تحمل مشروعًا حضاريًّا يدعو إلى السلم، والعيش المشترك، والاحترام المتبادل، وهو ما يلخِّصه قطب أقطاب الإباضيَّة في هذا العصر، بدر الدين الشيخ أحمد بن حمد بن سليمان الخليلي، في كتابه: "الحقُّ الدامغ"، بقوله:

"إنَّ الإباضيَّة - أهل الحقِّ والاستقامة - تمتاز عقيدتهم وتتَّسم طريقتهم في فهم أصول الدين بثلاثة أمور... المرونة، والتسامح في معاملة سائر فرق الأمَّة، وإن بلغ الخلاف بينهم ما بلغ، إذ لم يتجرؤوا على إخراج أحد من الملَّة وقطع صلته بهذه الأمَّة ما دام يدين بالشهادتين، ولا ينكر شيئًا ممَّا عُلم من الدين بالضرورة بغير تأويل (...) وعلى هذا مشى الإباضيَّة في هذا النهج السليم والتزموا هذا المبدأ القويم في معاملتهم لسائر طوائف الأمَّة كما يشهد بذلك التاريخ"[٢].

ويقول في أحد اللقاءات التي أجريت معه: "نحن دائما نميل إلى ما يجمع الشمل، ويرأب الصدع، ويؤلِّف القلوب، ويوحِّد الكلمة، وهذا ممَّا أدرك من كلام أسلافنا، فنجد مثلاً أبا حمزة الشاري وهو على منبر رسول الله ﷺ في وقت يواجه حروبًا مع قوى الظلم، وتحدِّيات عاتية، لم تذهب به الانفعالات إلى أن يُعلن القطيعة مع الآخرين، بل قال: "الناس منَّا ونحن منهم، إلاَّ ثلاثة: مشركًا بالله عابد وثن، أو كافرًا من أهل الكتاب، أو إمامًا جائرًا" وهذا موقف الإمام السالمي - رحمه الله-: أيضًا عندما قال:

ونحن لا نطالب العبادا ... فوق شهادتيهمُ اعتقادا
فمن أتى بالجملتين قلنا ... إخواننا وبالحقوق قُمنا

١) رواه مسلم في كتاب الأقضية، بَاب النَّهْيِ عَنْ كَثْرَةِ الْمَسَائِلِ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ، عن أبي هريرة، رقم: ٤٥٧٨، دار الجيل، ودار الآفاق الجديدة، بيروت، ج٥، ص١٣٠.

٢) الخليلي، أحمد بن حمد بن سليمان: الحقُّ الدامغ، د. ن، د. ط، مسقط، سلطنة عُمان، ١٤٠٩هـ، ص: ٧.

إلاَّ إذا ما أظهروا ضلالا واعتقدوا في دينهم مُحالا
قُمنا نبين الصواب لهمُ ونحسبنْ ذلك من حقِّهم

(...) ثمَّ مع هذا أيضًا نجد أنَّ علماءنا السابقين كانوا جميعًا حريصين كلَّ الحرص على ما يوحِّد الصفَّ، ويرأب الصدع، ويجمع الكلمة، بل نجد القيادات السياسيَّة، والقيادات العلميَّة جميعا تشترك في هذه الناحية، نحن نضرب مثلا لذلك عندما شبَّ ضرام الحرب بين الدولة السعوديَّة وأشراف مكَّة في عهد الملك عبد العزيز والشريف حسين، شغل ذلك القيادات الإباضيَّة، سواء القيادات السياسيَّة أم القيادات العلميَّة، فقد وجَّه السلطان تيمور بن فيصل رسالة إلى الفئتين المتحاربتين، وأسند مهمَّة القيام بالصلح في هذه القضيَّة إلى الشيخ سليمان باشا الباروني (...) وبجانب ذلك وُجِّهت رسالة من قبل الإمام محمَّد بن عبد الله الخليلي إلى الشيخ سليمان باشا الباروني نفسه يطلب فيها أن يمثِّله في القيام بالصلح ما بين الفئتين المتحاربتين حفاظًا على الإخاء الإسلاميِّ، وحفاظًا على الحرم الشريف، وصونًا له ممَّا يؤدِّي إلى تكدير صفو الأمن فيه"[1].

هذا هو المنطلق الفكريُّ العقديُّ الذي يصدر منه الإمام الإباضيُّ العُمانيُّ محمَّد بن عبد الله الخليلي، لم يتأسَّس من فراغ، ولا هو فلتة من فلتات زمانه وبيئته، بل هو منطلق قائم على أسس إيمانيَّة قرآنيَّة عميقة، تؤكِّدها سنَّة نبويَّة صافية مطهَّرة، وسيرة راسخة لسلف صالح من أئمَّة المذهب الإباضيِّ وعلمائه على مرِّ العصور.

وحدةُ الصفِّ العُمانيِّ، وإصلاحُ ذات البينِ، والجنوحُ للسلم (معاهدة السيب نموذجًا):

على الرغم من كلِّ ما يقال بشأن ظروف ودوافع الاتِّفاقيات التي وقعت تحت إشراف الحكومة البريطانيَّة، والنوايا التفريقيَّة الاستحواذيَّة التي كانت تبيِّتها هذه الإدارة البريطانيَّة، فإنَّ معاهدة السيب التي تمَّت بتاريخ ٢٥ سبتمبر ١٩٢٠م

١) السعدي، فهد بن علي بن هاشل: لقاءات سماحة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي المفتي العام لسلطنة عُمان - الفكر والدعوة، نشر مكتبة الأنفال، مسقط، سلطنة عُمان، د. ط، د. ت. ن، ص: ٢٤١، ٢٤٢.

بين السلطان تيمور بن فيصل والإمام الخليلي كان لها تأثير إيجابيٌّ في توطيد علاقة السلطنة بالإمامة، ونشر السلم والاستقرار، وإطفاء نار الفتن والصراعات، ما أعطى فرصة للطرفين لبعث الحياة الاقتصاديَّة والعلميَّة، وتحسين الحياة الاجتماعيَّة للعُمانيِّين.

"... وفي يوم ٢٥ سبتمبر ١٩٢٠م الموافق ١٣٣٩هـ توصَّل الطرفان إلى الصيغة النهائيَّة لهذه المعاهدات التي عُرفت بعد ذلك باسم "معاهدة السيب". وقد احتوت على شروط بعضها لصالح الإمام وبعضها لصالح السلطان"[١].

ولعلَّ أهمَّ عناصر هذه الاتفاقيَّة هي التي تؤكِّد على نشر السلم والوئام، فجاء في البندَيْن الثاني والثالث ممَّا يتعلَّق بشروط الشعب العُمانيِّ:

- ضمان سلامة العُمانيِّين وحرِّيَّة تنقُّلاتهم في المدن الساحليَّة.
- إزالة جميع القيود على تحرُّكات العُمانيِّين في موانئ مسقط[٢].

وجاء في البندَيْن الأوَّل والثاني ممَّا يتعلَّق بشروط السلطان:

- أن يتعهَّد قادة الإمامة بعدم مهاجمة المدن الساحليَّة، ولا يتدخَّلون في شؤون الحكم للسلطان.
- يتمتَّع أهالي مسقط والمشتغلون بالتجارة بالحرِّيَّة والأمان في مقاطعات عُمان الداخليَّة.

والمتأمِّل في بنود الاتِّفاقيَّة التي وقَّعها نيابة عن الإمام الخليلي الشيخ عيسى بن صالح الحارثي، وعن السلطان القنصل البريطاني في مسقط "وينغيت" (Wingate)، يلمس مدى الضغط البريطانيِّ الممارس على الجانبين، بحيث قدَّم كلا الطرفين تنازلات مهمَّة، فالسلطان تيمور كان آنذاك غائبًا في الهند، "وكان في غاية الغضب والسخط من تدخُّل الإنجليز في خصوصيَّات الحكم، وإدارة شؤون

١) غباش: عُمان الديمقراطية الإسلاميَّة، ص٢٩٢.

٢) الحسيني، فاضل محمَّد: "الدور البريطاني في عقد اتِّفاقية السيب عام ١٩٢٠ بين سلطان مسقط وإمام داخليَّة عُمان"، حوليَّة كليَّة الإنسانيَّات والعلوم الاجتماعيَّة، جامعة قطر، ع. ١٩، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، ص١٧٧.

البلاد"[١]، ولكنَّ الضغط الأكبر كان على جانب الإمامة "التي تخلَّت عن شرط كانت تعدُّه أساسيًّا وحيويًّا منذ أن طرحت مطالبها أوَّل مرَّة، ألا وهو إلغاء تجارة السلاح الذي سبق وأن أعطته الأولويَّة في إجراء أيَّة مباحثات مع السلطان، إلى درجة أن فضَّلته على المطلب السياسيِّ (الإطاحة بحكم السلطان) الذي لم يعُد هو الآخر له وجود في بنود الاتِّفاقيَّة"[٢].

نستشفُّ ممَّا سبق رغبة الإمام محمَّد إلى التهدئة والجنوح للسلم، امتثالا لقوله تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (سورة الأنفال: ٦١)، متأسِّيا بالرسول ﷺ في صلح الحديبية، فقد قدَّم نبيُّنا ﷺ تنازلات لم يستسغها بعض الصحابة آنذاك، ولكنَّ بُعد نظره ﷺ والتوجيه الربَّانيَّ والتوفيق الإلهيَّ حوَّل تلك المعاهدة إلى نصر كبير مهمٍّ للمسلمين. والطريف أنَّ القنصل البريطانيَّ الداهية وظَّف هذه الحادثة من السيرة النبويَّة بدهاء دبلوماسيٍّ كبير في تحرير الاتِّفاقيَّة، فقد طلب الشيخ عيسى بن صالح الحارثي أن تكتب الوثيقة على أنَّها صلح بين السلطان من جهة، وبين إمام المسلمين من جهة أخرى، فاعترض "وينغيت" على ذلك، ولمَّا أصرَّ زعماء الإمامة على طلبهم تمكَّن "وينغيت" من أن يقنعهم من خلال روايته لمَا حدث بين النبي محمَّد ﷺ وسكَّان مكَّة، قبل عام من فتحها في صلح الحديبية[٣]، حيث وصف النبيُّ ﷺ نفسه بأنَّه "محمَّد رسول الله"، لكنَّ زعماء مكَّة اعترضوا على ذلك؛ لأنَّه إذا نصَّ على أنَّه رسول من الله فليس هناك ما يستوجب عقد الصلح معه بهذه الصفة، وفي ذلك اعتراف ضمنيٌّ بنبوءته، وقد أدرك النبيُّ محمَّد ﷺ هذا المنطق فاكتفى بذكر "محمَّد بن عبد الله"... يقول "وينغيت": "... بعد تداول رسميٍّ، ابتسم الشيخ، ولم تستعمل كلمة (إمام) في نصِّ الاتِّفاق نفسه الذي كان مجرَّد إعلان للشروط المتَّفق عليها بين حكومة السلطان وعيسى بن صالح ممثِّل القبائل العُمانيَّة"[٤].

---

١) العبري: الإمام الرضي محمَّد بن عبد الله الخليلي، ص٧٢.

٢) Aitchishon. C. U. A Collection of treaties. Engagement and Sands Relating to India and Neighboring Countries. Vol. XI. Delhi. P: 319.

٣) ينبغي التنبُّه إلى عدم دقَّة التشبيه والفارق فيه، وهو أنَّ صلح الحديبية كان بين فئة مسلمة وفئة مشركة، بينما معاهدة السيب كانت بين مسلمين يمثِّلون شعبًا واحدًا وفي بلد واحد. فليُنتبه.

٤) Wingate (R). Not In The Limelight. London. Hutchinson and Co. Ltd. 1959. p. 90.

المنجزات الداخليَّة والخارجيَّة المترتِّبة عن معاهدة السيب ١٩٢٠:

من المنجزات التي تحقَّقت في عهد الإمام الخليلي، والتي نعُدُّها مترتبة عن الاستقرار النوعيِّ الذي تلاَ توقيع معاهدة السيب، نذكر ما يلي على الصعيد الداخليِّ:

- أوَّلاً: تدعيم الوحدة الوطنيَّة، وإرساء قواعد السلام بين أفراد الشعب العُمانيِّ، ما كفل له الحرِّيَّة، ويفهم هذا على أنَّه تعبير صادق عن رغبة الإمام الخليليِّ في إرساء قواعد السلام ونبذ الفرقة.

- ثانيًا: الاستقرار السياسي في داخليَّة عُمان مكَّن الإمام من إقامة قواعد الدولة، وتطبيق الأحكام الشَّرعيَّة في المناطق التابعة لحكمه، وتمَّ له ذلك من خلال تطبيق العدالة والقضاء على اللصوص وقطَّاع الطرق والمجرمين[١].

- ثالثًا: إرساء منظومة قضائيَّة قويَّة، من خلال تعيين الولاة والقضاة الأكفاء، والفصل في القضايا وفقا للشريعة الإسلاميَّة.

- رابعًا: تحسين المنظومة الاقتصاديَّة والماليَّة، بفضل تخفيض الضرائب الجمركيَّة على تنقُّل السلع من مناطق الإمامة إلى مسقط ومطرح، والاهتمام بنظام جباية الزكاة وتحصيل الضرائب.

أمَّا على المستوى الخارجيِّ فيمكن أن نرصد المنجزات الآتية:

- أوَّلاً: توثيق علاقات الأخوَّة والصداقة بين الشعوب العربيَّة والإسلاميَّة؛ وذلك تحقيقا للوحدة الإسلاميَّة، ونبذ الخلافات بين أبناء الأمَّة الإسلاميَّة، وتوثيق العلاقات مع الدول العربيَّة كمصر والسعوديَّة، كما توطَّدت العلاقات بين إمامة عُمان وشرق إفريقيا، وشمال إفريقيا، فيمكن اعتبار هذه المرحلة هي البداية الحقيقيَّة لانفتاح عُمان على العالم والعلاقات الخارجيَّة، من خلال الرسائل التي كان يبعثها الإمام إلى الزعماء والعلماء في المشرق والمغرب، نذكر منهم: قطب الأئمَّة امحمَّد بن يوسف اطفيَّش، والشيخ سليمان باشا الباروني، والشيخ محمَّد رشيد رضا...

١) السالمي، محمَّد (الشيبة): نهضة الأعيان بحرِّيَّة عُمان، ص: ٤٣١.

- ثانيا: إثبات الهوِّيَّة الرسميَّة للمواطن العُمانيِّ، لتسهيل تنقُّله إلى بلدان العالم المختلفة، وتمثَّل ذلك في إصدار جوازات سفر عُمانيَّة، فقد أصدر الخليليُّ جوازات باسمه وصفته، وكانت بعض هذه الجوازات تتضمَّن ما يأتي: "إنَّ حامل هذا الجواز هو من رعايا الإمام محمَّد بن عبد الله الخليلي، مسموح له بالسفر إلى كلِّ البلاد المذكورة أعلاه. وإنَّنا نطلب إلى جميع من يهمُّهم الأمر في البلاد الصديقة السماح لحامله التنقُّل بحرِّيَّة، وبتقديم جميع التسهيلات"[١].

- ثالثا: ظهور الحسِّ الوطنيِّ والشعور بأهمِّيَّة الحفاظ على ثروات البلاد من الأطماع الأجنبيَّة وتهديدات بعض دول الجوار، وأصبح النفط - الذي تزخر به أراضي الإمامة، ويُسيل لعاب شركات التنقيب الأجنبيَّة- ورقة رابحة مهمَّة في يد الإمام وشعبه[٢].

- رابعا: محاولة ربط عُمان بالدول العربيَّة الشقيقة والصديقة، والسعي إلى الانضمام إلى الهيئات العربيَّة والدوليَّة، فقد طلب الإمام الخليلي الانضمام إلى الجامعة العربيَّة قبل وفاته، ولكن مع الظروف السياسيَّة والمتغيِّرات الإقليميَّة آنذاك لم تكلَّل تلك الجهود بالنجاح. وقد تحقَّق هذا المطلب في العهد الزاهر لصاحب الجلالة السلطان قابوس، وذلك عندما انضمَّت سلطنة عُمان رسميًّا إلى جامعة الدول العربيَّة في سنة ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م[٣].

---

١) يرى الرحَّالة البريطاني ويلفرد تسينجر المعروف بـ (مبارك بن لندن) أنَّ السبب وراء رفض الإمام محمَّد بن عبد الله الخليلي السماح له بأن يستكشف عُمان الداخل عام ١٩٥٠م كان يكمن في "أنَّهم إذا ما أذنوا لي في التجوال هناك أينما شئت فإنَّ ذلك يعني أنَّ مسيحيِّين آخرين سيقتفون أثري، فيأتون باحثين عن النفط، ساعين به إلى بسط نفوذهم على أراضيهم". هذا السبب الجوهريُّ الذي أدركه تيسنجر إنَّما يدلُّ على أنَّ الإمام كان يدرك تماما هَوَس الأوربيِّين في البحث عن مكامن النفط في منطقة الخليج التي ساهمت بشكل كبير إلى نشوء الأطماع الاستعماريَّة في المنطقة، ونشوب بعض الحروب التي وثَّقها التاريخ بسبب النفط. ينظر: تسينجر، ولفريد: فوق الرمال العربيَّة، عرَّبه بتصرُّف: محمَّد محمَّد عبد القادر، ضمن سلسلة كتب ثقافيَّة (مختارات الإذاعة والتلفزيون)، المؤسَّسة المصريَّة العامَّة للأنباء والنشر والتوزيع والطباعة، الدار القوميَّة للطباعة والنشر، مصر. (د. ت)، (د. ط). وينظر: الحجري، هلال: عُمان في عيون الرحَّالة البريطانيِّين قراءة جديدة للاستشراق، تر. خالد البلوشي، نشر النادي الثقافي، مسقط، عُمان، ومؤسَّسة الانتشار العربي، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠١٣م، ص٣٨٧.

٢) غباش، حسين عبيد غانم: عُمان الديمقراطية الإسلاميَّة، ص٣٢٧.

٣) ناصر، محمَّد صالح: الشيخ أبو إسحاق إبراهيم اطفيَّش في جهاده الإسلامي، كولوريوم للنشر والتوزيع، وزارة الثقافة، الجزائر، ط٢، ٢٠١٣، ص: ١٠٦ وما بعدها.

وحدة عُمان توطِّد صلة الإمام الخليلي بسُلطان مسقط:

كان الإمام محمَّد بن عبد الله الخليلي رجل دولة من طراز رفيع، متقنا للشؤون الدبلوماسيَّة وأعرافها، وكان يكنُّ الاحترام والتقدير والتعظيم للزعماء والقادة حتَّى أولئك الذين يختلف معهم في الرأي أو التوجُّه السياسيِّ. يروى أنَّ محمَّد بن راشد بن عزيز الخصيبي حضر في يوم مجلسا من مجالس الإمام الخليلي، وقد أمر كاتبا أن يكتب للسلطان سعيد بن تيمور في بعض المهمَّات وهو من العلماء، ولمَّا فرغ من كتابته عرضه على الإمام فلم يعجبه، وانتقده عليه لخلوِّه في التصدير من التمجيد والتعظيم، فأمر كاتبا آخر، ففطن المأمور بمقصد الإمام ومغزاه من الانتقاد، فكتب الكتاب طبق المقصود، فاستحسنه الإمام وأعجبه وأنفذه. وكان الإمام سهل الخليقة، يراعي مناصب الملوك وما يستحقُّونه من التقدير والتعظيم، محنَّكا بحسن السياسة وجودة الرأي، له القدح المعلّى في ذلك. لقد كان الإمام يُنزل الناس منازلهم، ويعطيهم ما يستحقُّونه من التقدير والتعظيم، وهذا يدلُّ على الحنكة السياسيَّة التي كان يتمتَّع بها في مخاطبته للملوك والسلاطين.

على أنَّ هذا التقدير والتعظيم لم يتوقَّف عند حدِّ الدبلوماسيَّة والمجاملات الكلاميَّة، بل تعدَّاه إلى توطيد علاقة مبدؤها الأساس: خدمة الوطن وحبُّه، وجعله في رأس كلِّ الاعتبارات الأخرى. فكما هو معلوم أنَّ السلطان تيمور بن فيصل قد تخلَّى عن الحكم لولده سعيد في سنة ١٣٥٠هـ/١٩٣٢م، وهو من مواليد ١٣٢٩هـ/ ١٩١٠م، والتاريخ يثبت أنَّه لم تحدث أيَّة حروب بينه وبين الإمام الخليلي، "... بل كانا يدافعان عن عُمان معًا، يقول الشيخ سيف بن سالم بن سيف اللمكي: "كان الإمام محمَّد بن عبد الله - رحمه الله - يحكم داخليَّة عُمان بالحكم الشرعيِّ، وسلطان مسقط (سعيد بن تيمور) كان يحكم القسم الساحليَّ من صور إلى مسقط ومطرح، وخصب، ومنطقة مسندم والمنطقة الجنوبيَّة إلى الربع الخالي، ولا يوجد اختلاف بين الإمام والسلطان، بل كانا متكاتفين يدافعان عن عُمان بيد واحدة اتِّفاقا منذ إمامة الخليلي إلى أن توفَّاه الله تعالى عام ١٣٧٣هـ الموافق ١٩٥٤م، والجدير بالذكر أنَّه في سنة ١٣٦٦هـ/ ١٩٤٧م طمعت إحدى الدول المجاورة في واحة البريمي؛ فقام سلطان مسقط مدافعا عن عُمان كي لا يتدخَّل في عُمان أجنبيٌّ، فاتَّفق مع الإمام بأن يصدُّوا الغزو عن عُمان، وقام الطرفان بالدفاع،

وجمعوا قبائل عُمان من الشرقيَّة إلى الغربيَّة لصدِّ الثورة الغازية، وتكفَّل سلطان مسقط بنفقة الجيش لوجود المال والقوَّة الحربيَّة، فبحمد الله انخمدت نار الفتنة بدون قتال، واستطاع الجانبان بسياستهما الحكيمة أن يدفعا الغزو.

وفي سنة ١٣٦٨هـ/١٩٤٩م قام بعض أعيان القبائل بزيارة تلك الدول الغازية؛ فحصل لهم التكريم الهائل، ممَّا استمالهم إلى بثِّ الصداقة وأداء الطاعة، حتَّى جاء إليهم من يكرمهم بالمال، متمركزًا في جانب من واحة البريمي، ولكنَّ الإمام والسلطان استيقظا لذلك، ودافعا مرَّة أخرى عن عُمان، وكانت في تلك الأيَّام تُساور الإمام أمراضُ الشيخوخة؛ فتكفَّل سلطان مسقط بردِّ الأجانب، وعاد الوضع كما سبق في عُمان"[١].

وتطالعنا صحافة عُمان المهاجرة بزنجبار بمقالات مهمَّة تصف ما ينبغي أن تكون عليه علاقة الإمام بالسلطان، وتؤكِّد على ضرورة توحيد الصفِّ، وتقوية الجبهة الداخليَّة في وجه الأطماع الخارجيَّة المتزايدة. ومن بين هذه المقالات نجد مقالا بعنوان: "عُمان تسبح في وهم" للكاتب هاشل بن راشد المسكري، نشره في حلقتين بجريدة الفلق، وممَّا جاء فيه: "إنَّنا نستعطف عظمة السلطان لجمع شمل الأمَّة العُمانيَّة، وأن يردَّ كلَّ طامع إلى مقرِّه، فهو الأب الناهض اليوم للدفاع عن حرِّيَّة عُمان واستقلالها، ولا خير في التفرقة؛ فوجود حاكم دينيٍّ في داخل القطر ضروريٌّ لكفِّ الفتن الداخليَّة، ولإقامة الأحكام الشَّرعيَّة بين القبائل (...) والتعاونُ أمَّةً وحكومةً لا شكَّ مصلحة للوطن (...) فالعالم اليوم ليس هو العالم بالأمس، والأزمة الدوليَّة تتطوَّر حينًا بعد حين، والأطماع في الدول الصغيرة تزداد في كلِّ ساعة (...) فننشدكم الله يا عظمة السلطان ويا حضرة الأميرين (يقصد سليمان بن حمير النبهاني وعيسى بن صالح الحارثي) التعاون لحماية الوطن، والعدَّة لردِّ كلِّ طامع فيه..."[٢].

وهذا ما حصل بالفعل؛ فقد تحدَّث الشيخ سعود بن علي الخليلي عن تفاصيل

---

١) اللمكي، سيف بن سالم بن سيف: "مخطوط في سيرة الإمام الرضيِّ محمَّد بن عبد الله الخليلي"، بحوزة أحفاد المؤلِّف، ورقة ٢.

٢) المسكري، هاشل بن راشد: "عُمان تسبح في وهم (١)"، جريدة الفلق، زنجبار، ع. ٥٥٢، بتاريخ ١١جمادى الثانية ١٣٥٨هـ/ ٢٩ يونيو ١٩٣٩م. والجزء الثاني صدر في الصحيفة ذاتها، ع. ٥٥٣، بتاريخ ١٨جمادى الثانية ١٣٥٨هـ/ ٠٥ أغسطس ١٩٣٩م.

هذه الحادثة التي وحَّدت جهود عمَّه الإمام والسلطان في وجه الاعتداءات الأجنبيَّة على التراب الوطني، رغم الخلافات الداخليَّة، فقد ذهب الشيخ أحمد بن محمَّد الحارثي، والشيخ طالب بن علي الهنائي، والشيخ عبد الله بن حمدون الحارثي، ذهبوا ممثِّلين للإمام محمَّد بن عبد الله الخليلي لسماع رأي السلطان سعيد بن تيمور حول ما يحدث في البريمي. ولم يرَ السلطانُ أملاً في التفاوض... وكان قد قرأ واقع الحال وأطماع القوى الغربيَّة وضغطها على الملك عبد العزيز... وقال "ليحكم الله". لكنَّ الشيخ طالبًا ظنَّ أنَّ الملك السعوديَّ يمكن أن يقدره ويستجيب له، فذهب بطائرة خاصَّة من دبي إلى السعوديَّة وتحدَّث مع الملك عبد العزيز، وأبلغه رغبة العُمانيِّين في السلم، وأنَّه يرجو من الملك تجاوبًا فيما يراه العُمانيُّون ويأملونه منه، وهو أن يترك الأمر على ما كان عليه بحسب الحدود المتعارف عليها بين الدولتين، لكنَّ الملك أجابه ناصحًا بحسب ما ينقل الشيخ سعود الخليلي: "صحيح اللي ما من دينك ما يعينك... قابل ولي العهد" فجاوبه الشيخ طالب: "كلُّنا يا جلالة الملك دين واحد...". قال: "أنا أقصد المستعمرين..."، وانتهت المقابلة، وعاد الشيخ طالب بن علي ليضع نفسه وقومَه تحت تصرُّف السلطان سعيد، وقال: "كان السلطان على حقٍّ فيما رآه". وقال الشيخ سعود الخليلي إنَّ العُمانيِّين احتشدوا جميعًا تحت راية السلطان سعيد بن تيمور لتخليص البريمي، وتحقَّق لهم ذلك بفضل وحدتهم[١].

مواقف الإمام الخليلي من خلال مراسلاته مع أعلام عصره:

يمكن أن نستشفَّ كثيرًا من مواقف الإمام محمَّد بن عبد الله الخليلي ونظرته السياسيَّة الثاقبة من خلال مراسلاته التي كتبها لعدد من الأعلام في عُمان وبعض الشخصيَّات المؤثِّرة في خارج عُمان، وقراءة عجلى لهذه المراسلات تنبئ عن سعة اطِّلاعه وحنكته السياسيَّة، وحرصه على إصلاح ذات البين في المجتمع العُمانيِّ، ثمَّ اهتمامه بالقضايا التي تهمُّ الأمَّة الإسلاميَّة وأحوال إخوانه المسلمين مشرقًا ومغربًا.

إنَّ صِلات الإمام الخليلي مع من عاصره من الشخصيَّات المهمَّة - والتي يمكن

١) ينظر: الخليلي، سعود بن علي: كلمة، صفحات من التاريخ العُماني، د. ن، مسقط، سلطنة عُمان ٢٠١٥.

أن تظهر بجلاء من خلال مراسلاته - يمكن أن ندرجها في دوائر متداخلة تتدرَّج من الضِّيق إلى الاتِّساع، على الشكل الآتي:

أ - صلته بعمَّاله وأعيان القبائل في مناطق إمامته.

ب - صلته بعلماء الإباضيَّة ومشايخهم خارج عُمان.

ج - صلته بأعلام الحركة الإصلاحيَّة في العالم الإسلامي.

د - صلته بحكَّام الدول وملوك الأمم الأخرى (المملكة السعوديَّة وبريطانيا نموذجًا).

وسنحاول أن نورد نماذج من بعض مراسلات الإمام الداخليَّة والخارجيَّة.

صلته بعمَّاله وأعيان القبائل في مناطق إمامته:

كان الإمام الخليلي - رحمه الله - يجلس إلى رعيَّته، خاصَّتهم وعامَّتهم، يعلِّمهم أمور دينهم، ويرعى أمور دنياهم، ويقضي نهاره في خدمة المسلمين، تقصده المرأة والصغير والكبير والضعيف والقويُّ، لا يأنف من أن يقضي حاجاتهم ويرجع إلى مجلسه للفصل في قضايا الأمَّة واستقبال الوفود، حتَّى إنَّه كان في بعض الأوقات يتولَّى علاج المرضى من الضعفاء، ويتولَّى أمور المسلمين في أدقِّ تفاصيلها، كما سجَّله محمَّد السالمي في "النهضة"، إذ كان الإمام يتولَّى حتَّى كتابة توصيات سريعة لصرف طعام لدوابِّ الضيوف أو دوابِّ الدولة، وكان يفرِّق بعض ثياب الصدقة بنفسه، بل ويفكُّ صراعات الأطفال الأيتام الذين كانوا يعيشون معه في الحصن. وكان - رحمه الله - كثيرا ما يراسل عمَّاله وقضاته ومسؤولي دولته في شؤون الدولة، كما كان لا يتوانى عن كتابة الفتاوى لعامَّة الناس وخاصَّتهم، من عُمان أو من بلاد المغرب، وقد حُفظت كثيرٌ من رسائله، وبقيت شاهدة على شخصيَّة ذلك الرجل العظيم وإخلاصه[1]. وسنحاول هنا عرض نماذج من مراسلاته مع بعض المشايخ في عُمان أو بعض عمَّال دولته؛ لنستكشف منهج تعامله معهم وعلاقته التي تربطه بأفراد دولته.

١) ينظر: السالمي، محمَّد (الشيبة): نهضة الأعيان بحرِّيَّة عُمان، ص: ٢٨٩.

رسالة الإمام الخليلي إلى مشايخ وأعيان وادي المعاول:

"بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

من إمام المسلمين محمَّد بيده لحضرة المشايخ الإخوة حمود بن مهنَّا، وحمد بن سعيد، ومحمَّد بن سيف، وبلعرب بن ناصر، وأولاد سالم بن سيف، وأولاد محمَّد بن سيف، وأهل مسلمات. سلام عليكم ورحمة الله وبعد؛ فإنِّي أحمد الله على كلِّ حال، كتابكم وصلني وفهمته، وأقول: ذكرتم أنَّ دياركم مستقيمة لا قتل ولا سرقة، فالمنَّة لله جلَّ وعلا، ليس من قِبل استقامتكم، لا يقدر المخلوق على إصلاح نفسه فكيف لغيره، فلا تغرَّنَّكم نفوسكم أنَّ ذلك من قِبَلكم، واعلموا أنَّ الأمور وإن استقامت فيما بينكم لم تستقم من جهة الأحكام إلاَّ بحاكم، ورأينا أنَّه لا يصلح التعطيل وأنتم تعلمون، فهذا أمرٌ أمضيناه، إن استقام الشيخ ناصر فذلك ظنُّنا فيه وأملنا، والخير قصدناه، وإلاَّ فنحن مع أنفسنا لا مع أحد. ويا أيُّها المعاول، عليكم الطاعة وأن تكونوا عونًا، ولا يُضيِّع الله فاعل الخير، وأحذِّركم من كثرة القول في بعضكم بعضًا، فإنَّ ذلك يُخلُّ بالدين والمروءة، ولا غنًى لدار عن عالم يحكم ولو صلح أهلها، (كعفَّة الخُود لا تُغني عن الرَّجل)[1] ومع هذا اعلموا أنَّا متيقِّظون لكم، كلَّ من بان منه أمرٌ يخالف الحقَّ يهون علينا قتلُه، فكيف بقيده إذا لم يمنعنا الشرع، ونغضب بالأفعال لا بالتكلُّم. هذا والسلام ختام، والله حسبنا ونعم الوكيل. حرِّر يوم ١١ ربيع الآخر ١٣٤٣هـ"[2].

يمثِّل هذا النصُّ وثيقة تاريخيَّة لحزم الإمام الخليلي في تسيير أمور دولته، وإخضاع جميع الأحكام والقضايا إلى الشرع الإسلاميِّ الحنيف، ويبدو من رسالته إلى أعيان وادي المعاول أنَّ بوادر عصيان أو جرأة على أحكام الإمام لاحت في الأفق؛ فكان خطاب الإمام ناصحًا، وواضحًا، وصارمًا، في الحثِّ على الإذعان للحقِّ والسمع والطاعة لأولي الأمر، وأنَّ على أولي الأمر الاستقامة على

---

١) هذا هو الشطر الثاني لبيت من القصيدة الشهيرة (بلامية ابن المقري) في الحكمة، ومطلعها:
"زيادة القول تحكي النقص في العمل"
والبيت هو: "عقلُ الفتى ليس يُغني عَن مُشاورة كعفَّة الخود لا تُغني عن الرَّجلِ".

٢) مجلَّد مخطوط بيد يحيى بن ناصر بن حميد بن سعيد الراشدي: "رسائل الإمام الخليلي" وبعض أحكام الإمام والمراسلات من أشياخ عُمان. حرِّر سنة ١٤٠٦هـ. (نسخة مصوَّرة من المخطوطة)، ص٢.

الحقِّ والقضاء بالعدل، وفي الرسالة تهديد قويٌّ بأسلوب حكيم من الإمام ختم به الرسالة حين قال: "نحن نغضب بالأفعال لا بالتكلُّم"، وهذه سياسة حكمية من الإمام الحريص على متابعة شؤون دولته مباشرة، وعدم الاكتفاء بالتقارير والأخبار التي ترفع إليه.

رسالة الإمام الخليلي وتوجيهه السياسيُّ للرعيَّة في أمر "السليف":

"بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ليعلم من يرى كتابي هذا أنَّا نظرنا في أمر السليف وغيرها؛ فرأينا أنَّه يلزمهم أن يقوموا بكلِّ أمر يذبُّ عنهم يد البغاة، وأعني بأهلها من لهم الأموال في السليف كائنًا ما كان، ورأيت أنَّ بني هناءة هم الأكفاء في ذلك، ورأيت سليمان بن محمَّد الهنائي هو الأمثل في ذلك والأقرب".

ثمَّ يقول في آخر الرسالة: "وكتبه إمام المسلمين محمَّد بن عبد الله في يوم العشرين من شهر رمضان من سنة ١٣٦٩. أقول قولي هذا متحرِّيًا للعدل، وإن رأى المسلمون أنَّ هذا خطأ؛ فإنِّي راجع إلى الحقِّ، وأعوذ بالله من التمادي في الباطل، وعلى من يراه من أهل العلم أن يُظهر وجه البطلان إن رآه باطلاً، حرَّرته بيدي"[١].

هذا النصُّ يعطي صورة أخرى مغايرة للنصِّ السابق في طريقة تعامل الإمام مع رعيَّته ومع عمَّال دولته وأعيانها بالخصوص، فهو هنا يقدِّم رأيه في تكليف مشايخ لتولِّي بعض المسؤوليَّات، ونجده في آخر الرسالة يقرُّ بأنَّ اجتهاده ليس حكما مطلقا لا يعتوره النقص والخلل والخطأ، فرحَّب بكلِّ - تواضع وحكمة - بأيِّ عالم يقدِّم له بالدليل والحجَّة خطأ مسلكه ورأيه، وبيَّن الإمام استعداده للإذعان إلى الحقِّ واستعاذ من التمادي في الباطل... وهذه في الحقيقة سمات العظماء من الأئمَّة والخلفاء الذين يُبقُون حبل التواصل موثوقا بالرعيَّة والعلماء، ولا يستبدُّون بالرأي، ولا يحكمون بالغطرسة والإكراه.

١) العبري: الإمام الرضي محمَّد بن عبد الله الخليلي، ص٣٦١ - ٣٦٢.

صلة الإمام بعلماء الإباضيَّة ومشايخهم خارج عُمان:

إن التواصل المشرقيَّ المغربيَّ عريق ممتدُّ الجذور في التاريخ الإسلاميِّ، يصل إلى القرن الثاني الهجريِّ، والتواصل العُمانيُّ مع وادي مزاب بالخصوص ما فتئ يمثِّل حلقة مضيئة ترسِّخ علاقة عُمان بشمال إفريقيا منذ قيام الدَّولة الرستميَّة على التراب الجزائريِّ في القرن الثاني، وما تزال حلقاتها مستحكمة مترابطة حتَّى اليوم. ولا نستطيع في هذه العجالة التطرُّق إلى تاريخيَّة التواصل المشرقيِّ المغربيِّ، ولا إلى علاقة مزاب بعُمان عبر التاريخ، وإنَّما سنكتفي باستعراض بعض مراسلات الإمام الخليليِّ مع علماء وادي مزاب ومشايخه؛ لنكتشف صورة أخرى من صور اهتمامه بمسألة الوحدة الإسلاميَّة التي اخترنا التركيز عليها في هذه الدراسة.

وقبل أن نستعرض نماذج من هذه المراسلات، نودُّ أن نسجِّل بفخر وإعجاب تقدير قطب الأئمَّة امحمَّد بن يوسف اطفيَّش الجزائري (ت: ١٣٣٢هـ/ ١٩١٤م) وتبجيله لشخصيَّة الإمام الخليلي حتَّى قبل أن يكون إمامًا، فقد أدرك القطب اطفيَّش من خلال مراسلاته مع ذلك الشابِّ الذي لم يبلغ الثلاثين من عمره، واهتمامه بشؤون دينه وأمَّته، وحرصه على طلب العلم المغربيِّ بعد أن حوى ما توصَّل إليه من العلم المشرقيِّ... قلت: هذا كلُّه دفع القطب اطفيَّش - الذي يكبر الخليليَّ بأكثر من نصف قرن - أن يقرَّ له بالتضلُّع في العلم، بل ويطلب منه في رسالة أن يشهد له بأنَّه (أي القطب اطفيَّش ذاته) عالم مجتهد، فإنَّ المرء ليقف محتارًا بين أمرين عظيمين: تواضع الإمام القطب العالم الكبير، واعترافه بتفوُّق الخليليِّ في العلم، والأمر الآخر هو قيمة الإمام الخليليِّ ومكانته العلميَّة وتبحُّره في العلوم الشَّرعيَّة إلى درجة تدفع شيخه المغربيَّ أن يطلب منه شهادة اعتراف بالاجتهاد المطلق. هذا ممَّا يسجِّله التاريخ لكلا العالمين، وربمَّا هي شهادة بقيمة الخليلي وتميُّزه أكثر منها شهادة بتواضع القطب، فليتأمَّل[1].

علاقة الإمام محمَّد بن عبد اللّٰه الخليلي بالقطب اطفيَّش تمتدُّ - كما أسلفنا- إلى ما قبل فترة إمامته، إلى فترة تعلُّمه وشبابه، وهذه بين أيدينا رسالة مهمَّة توثِّق هذا التواصل الجميل بين التلميذ والمربِّي، بين المتعلِّم المجتهد الطموح والعالم المتبحر المتواضع:

١) يُنظر صورة رسالة القطب امحمَّد بن يوسف اطفيَّش لمحمَّد بن عبد اللّٰه الخليلي في ملحق الوثائق في آخر البحث.

رسالة الإمام الخليلي في مرحلة شبابه إلى القطب اطفيَّش الجزائريِّ[1]:

"بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وصلَّى الله على رسوله محمَّد وآله وصحبه وسلَّم. وبعد: فسلام الله ورضوانه وروحه وريحانه على شيخنا كهف الأرامل والأيتام، وفِنْد عامَّة الإسلام، وقطب الأئمَّة الأعلام، امحمَّد بن يوسف اطفيَّش، من كاتبه العبد الضعيف محمَّد بن عبد الله الخليلي، لا برحتَ شيخنا مؤيَّدا بالنصر، مُعانا بالصبر، موفَّقا للشكر، مضاعفًا لك الأجر، مباركًا لك العمر.

ثمَّ إنِّي أتأمل منك الدعاء الصالح، وأن تُنبِّهني بما يعين على الحفظ والفهم من تلاوة أو كتابة إن كنت تجيز أن يُكتب شيء من القرآن فيمحى ويُشرب، وما تقول في الأخبار الواردة في كتب الأسرار؛ منها ما يُروى عن المختار: "من كتب كذا أعانه على الفهم والحفظ"؛ هل هي صحيحة أم لا؟ وأريد منك - إن لم يشقَّ عليك - أن تنسخ لي حاشيتك على "مقاليد التصريف" تأليف شيخنا العلاَّمة سعيد بن خلفان، وشرحك على "مختصر العدل"، وشرحك للامية ابن النضر، ولعمري إنَّ تآليفك وجدناها أسهل تناولا، فليت لنا جميعها؛ ولكن كما قال شاعرهم[2]:

وقد يَتركُ الحسناءَ من بات مُغرمًا بها مُستهامًا ليس يُمكنُه المَهر

وهذه مسائل تفضَّل بجوابها، وعليك السلام وعلى أولادك وأهليك والطلبة، ومن بناديك، وصلَّى الله على رسوله وآله وسلَّم"[3].

هذه الرسالة لجمالها وروعة بنائها وحبكها وأدبها لا تحتاج إلى كثير تعليق، وإنَّ المتأمِّل لاهتمام الخليليِّ بالعلم من لدن مشايخ المغرب في هذا الزمن المبكِّر رغم

---

١) يعود تاريخ الرسالة إلى: ٠٤ شوَّال ١٣٢٧هـ / ١٩ أكتوبر ١٩٠٩م، أي قبل خمس سنوات من وفاة القطب اطفيَّش، وكان عمر الخليلي آنذاك ٢٧ سنة.

٢) ورد البيت في النص مفتتحا بـ «قد يترك...» والأصل: «كذا يترك...»، ولم نقف على صاحب البيت، فالبعض ينسبه إلى أبي حيَّان التوحيدي، والآخر إلى الشاعر محمَّد الأمين بن سيد إب الكُنتي. فليتأمل.

٣) مؤسَّسة الشيخ عمِّي سعيد: "جوابات الإمام القطب - القسم الأوَّل: الأجوبة العلميَّة" نسخة أوليَّة، مرقون غير منشور، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م، ص: ٦٢٢-٦٣٠. وتمَّ العثور على ستِّ رسائل من القطب اطفيَّش إلى الإمام محمَّد بن عبد الله الخليلي أجوبة منه على مسائل علميَّة كانت بينهما.

قلَّة وسائل الاتِّصال والتواصل، ينبئ عن شخصيَّة علميَّة قويَّة تعدُّ بمستقبل باهر زاهر. وأنَّ تواضع الطالب وخُلُقه الرفيع مع الإمام القطب هو ما جعله يُكبِرُ فيه حبَّ العلم، ويتفرَّغ للإجابة عن أسئلته الكثيرة التي قد تستغرق في بعض الجوابات عشرات الصفحات[١].

رسائل الإمام الخليلي إلى مشايخ وادي مزاب وأهله ودعوتهم للوحدة ونبذ الخلاف:

كان الإمام الخليلي موئل الإباضيَّة مشرقًا ومغربًا فيما يعنُّ لهم من نوازل في أمور دينهم خصوصًا ودنياهم كذلك، فكانوا يرجعون إليه لطلب الفتوى والفصل في الخلافات، وكان المزابيُّون من أشدِّ الإباضيَّة تعلُّقًا بالإمامة وتعظيمًا لها، فكانت تُرفع إلى الإمام المسائلُ المستعصية على حلقات العزَّابة في الوادي، ويرفع إليه الخلاف في القضايا الشائكة.

وفي مطلع القرن العشرين عرف وادي مزاب حركة علميَّة وصحوة إصلاحيَّة كبيرة، كما عرفتها أغلب عواصم الشرق الإسلاميِّ، وأثارت جهود الإصلاح في مزاب حراكًا اجتماعيًّا ونزاعًا علميًّا وفكريًّا وصل في بعض الأحيان إلى حدِّ الاعتداءات الجسديَّة وتقاذف التُّهم، وكان بعض من يرفض الأفكار الإصلاحيَّة يبادر إلى تفسيق المصلحين، والبراءة منهم. فلمَّا تطوَّرت الأوضاع واشتدَّ أوار المعركة الفكريَّة - التي كانت الصحافة إحدى ساحاتها - وصلت المسألة إلى إمام المسلمين محمَّد بن عبد الله الخليلي، عن طريق بعض من ارتحل إليه من فريق المحافظين؛ فكتب في الموضوع عدَّة رسائل مهمَّة، بعضها نُشر في الصحافة، وبعضها لم ينشر، واستغرقت رسائل الإمام في هذا الموضوع بالذات[٢] زهاء عشرين سنة، تعود الرسالة الأولى إلى شهر رمضان ١٣٥٦هـ/ نوفمبر ١٩٣٦م، بينما عثرنا على آخر رسالة في الموضوع تعود إلى السنة الأخيرة قبل وفاة الإمام بتاريخ جمادى الأولى ١٣٧٢/ جانفي ١٩٥٣م، وسنعمد إلى إيراد هذه الرسائل في هذا المجال لنتبينَّ حرص الإمام على مسألة وحدة صفِّ إخوانه إباضيَّة المغرب، وحرصه على

١) ينظر: صورة من صفحة مخطوطة لنموذج من جوابات القطب اطفيَّش للخليلي في ملحق الوثائق آخر البحث.
٢) نقصد مسألة الصوم والإفطار بالتلفون، وليس هذا مجال تفصيل الحديث فيها، فقد دُبِّجت فيها فصول ومقالات كثيرة.

عدم التسرُّع في الحكم على العلماء المجتهدين وتفسيقهم والتبرئة منهم.

الرسالة الأولى (ربيع الثاني ١٣٥٥هـ)[١]:

رسالة حرَّرها محمَّد بن سيف بن سليمان العُماني إلى الشيخ ابن عمر الحاج عمر بن الحاج مسعود[٢] القراري، من جملة ما ورد فيها:

"... أمَّا بعد، فإنِّي أهدي سلامًا جميلاً عاطرًا، وأبثُّ ثناءً جليلاً وافرًا، يضيئان الأكوان نورًا، وينفخان فيهم مسكًا عبيرًا، لحضرة الشيخ المدرِّس الأستاذ المحترم الحاج عمر بن الحاج مسعود الذي جمعتني به وإيَّاه "منَى"، فنلنا بها كلَّ المُنى، والحمد لله...". ثمَّ يبلِّغه دعوة الإمام محمَّد بن عبد اللَّه الخليلي في جمع كلمة المسلمين بمنطقة وادي مزاب في الجزائر، وممَّا قاله الإمام: "... ألا وإنَّه ليسوؤنا ما يبلغنا من التخالُف فيما بينكم بسبب النوازل، وكفى بضغط إحدى الدول المتغلِّبة على عالم الإسلام محنةً وبلاءً، ويجبُ علينا وعليكم أن لا نتنازع في شيء ما احتمل لذلك سبيلا، والله تعالى يقول: ﴿وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ (سورة الأنفال: ٤٦)".

الرسالة الثانية[٣]:

"بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وحده، والصلاة على نبيِّنا محمَّد وآله وصحبه. بلَغنا سؤال عن فتوى العالم القراريِّ المُجيز الأخذ بخبر التلفون والبرق في هلال رمضان وشوَّال، وقاسه على شهادة الأعمى، والشهادة في الظلمة، والشهادة من وراء حجاب، واستماع المؤذِّن، فالذي نراه ونعمل به ونحكم عليه الأخذ بكتاب الله والسنَّة وبما جرى عليه

---

١) رسالة مخطوطة عند الباحث الشيخ الحاج أحمد كروم المزابي الجزائري، نسخة منها مؤرَّخة في ١٩ ربيع الثاني ١٣٥٥هـ.

٢) معجم أعلام الإباضيَّة، ج٣، ص٦٥٢، رقم ٦٧٣.

٣) الخليلي: الفتح الجليل، ص٢٤٥، ٢٤٦. السالمي: نهضة الأعيان، ص: ٥٠٥، ٥٠٦.

عمل الصحابة ﷺ، وتبعهم الخلف: هو أنَّه إذا تباعدت الديار والمطالع فلكلِّ قوم هلالهم. والحجَّة في رؤية الهلال الشهادة العادلة، أو الشهرة القاضية، أو حكم الحاكم بصحَّة الهلال، ودينكم يُسرٌ، فاشكروا الله الذي جعلكم من أهل هذه الشريعة الحنيفيَّة السمحة، ولو شاء الله لأعنتكم. وأمَّا الكلام في قياسه فنحن لا نعلم خبر التلفون على الحقيقة، مع أنَّه لا داعي لذلك. صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته، فإن غُمَّ عليكم فأكملوا العدَّة ثلاثين، ولم يبلغنا أنَّ الأوائل تكلَّفوا في طلب الهلال، فإنَّ أيام الحجِّ طوال، فلو كان يلزم البحث لكان الأوائل أحرى بذلك، فلم يبلغنا أنَّهم يلتمسون الخبر من الديار البعيدة النائية مع إمكان ذلك، والله أعلم.

ونحن أهل المشرق نُقرُّ لكم ونسلِّم أنَّكم أكثر اطِّلاعًا للآثار والأخبار، إلاَّ أنَّ فيكم شدَّة لا تسلِّمون الأمر، ونحن بحمد الله نعظِّم علماءنا، وننقاد إلى أقوالهم وأحكامهم؛ بل ونحترمهم؛ بل ونحترم علماء المغرب، كالشيخ القطب محمَّد بن يوسف - رحمه الله -، ويسوؤنا ما يبلغنا من تخالفكم، وعدم توقيركم لذلك الشيخ وأمثاله، وإن اختلف المشايخ في مسألة من غير مسائل الدين، فليس ذلك بموجب فُرقة، ولا ينبغي لتلامذة هذا الشيخ أن يتحاملوا على الآخر بلا حجَّة، إلاَّ لِمَا يرونه من توقيرهم لشيخهم. الجاهل لا يتعدَّى طوره، فلا تعجلوا على القراريِّ بالبراءة، واعلموا أنَّا نأخذ بالسنَّة. والله حسبنا ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوَّة إلاَّ بالله العليِّ العظيم، وذلك من إخوانكم المشارقة أهل عُمان، إمام المسلمين: محمَّد بن عبد الله، ومن حضره من الإخوان".

الرسالة الثالثة (جمادى الثانية ١٣٧٢هـ)[١]:

"بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

من إمام المسلمين محمَّد بن عبد الله الخليلي إلى إخوانه المشايخ الفضلاء المرتضين صالح بن علي (باعلي) وصالح بن يحيى وسعيد بن علي (بن بَاسَعيد، بُهُونْ عَلي) المزابيِّين حجَّاج بيت الله وزواره وجيران حرمه - تقبَّل الله سعيكم

١) نسخة مصورة من المخطوطة بحوزتنا، بخط سيف بن سعيد بن محمَّد المعولي، منقول من خط سفيان بن محمَّد بن عبد الله الراشدي.

وأثابكم رضوانه - سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وعلى من جاور معكم من الإخوان. وإنِّي أحمد الله الذي لا إله إلاَّ هو إليكم، وأشكره على فضائله وجزيل نواله، راجيا منه أن يغمركم بنعمائه الشاملة، ويعمر قلوبكم بأذكاره الفاضلة، نحن ومَن قِبَلَنا بخير - والحمد لله - وبعد:

فإنَّ الولد سيف بن سعيد المعولي الحاجَّ وصل معنا سالمًا، وتناولنا من يده كُتبكم الحاملة بمزيد التحيَّات، ورسائلكم الحافلة بالأبحاث في المسائل التي اختلفتم فيها، ولا بد أن ينظر إخوانكم العُمانيُّون فيها، ويطبِّقون المسألة على أثر السلف الصالح المستخرج من الكتاب العزيز والسنَّة المطهَّرة، مع أنِّي أقول إجمالاً: أوصيكم بالتثبُّت في الأمور، وألاَّ تعجلوا على إخوانكم بقطع العذر والبراءة، واحتملوا للمسلمين فيما كان فيه محتمل، ومن دين المسلمين ألاَّ ينصبوا الرأي دينًا، فإنَّ الله ﷻ جعل هذا الدين يسرًا، وفتح للعلماء باب الاجتهاد، وألزم كلاًّ أن يأخذ بما أدَّاه إليه اجتهاده فيما لم يكن فيه نصٌّ عن الله تعالى، بكتاب صادق، أو سنَّة يرويها صادق عن صادق، أو إجماع الأمَّة لثبوت العصمة لهم، فلا يجتمعون على ضلالة، وما كان وراء ذلك فهو محلُّ اجتهاد وبحث لا محلَّ قطع عذر وتخطِئات.

فانظروا - رحمكم الله - بعين البصيرة، واعتمدوا على الحقِّ فهو السيرة التي أثرها الأسلاف، وقد رأيت في غضون تلك الأبحاث، وعلى غصون تلك الورقات ما لو بُرهِن بالبرهان لتبيَّن أيُّ بيان أنَّه من مسائل الاجتهاد، وأنَّ للرأي فيه مجالاً، وللعلماء مقالاً، فلا يفضي بها إلى التخطئات وقطع الأعذار. واعلموا أنَّ النصوص تتناهى والحوادث لا تتناهى، فاقتضت حكمة العليم الخبير الرؤوف الرحمن الرحيم أن جعل للعلماء النظر والاعتبار، وأن يحكموا على تلك الحوادث بما أدَّاهم إليه اجتهادهم في التخريج والاستنباط والوزن، والمعيار؛ لذلك جاء: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ (سورة الأنعام: ٣٨). فالله الله فيما يجمع الكلمة والتآلف، ويُبعد الشحناء والتخالف، ولا تكونوا كالذين فرَّقوا دينهم وكانوا شيعًا، فما مُني الإسلام بشيء أعظم وأطمَّ من التخالف المؤدِّي إلى الفشل، المنتج لانحلال القوى، وذهاب الدول، هذا وإخوانكم أهل عُمان حريصون على اجتماعكم، وانتظام جماعتكم، ويُسيئُهم جدًّا ما يبلغهم عنكم من التفرُّق - جمعكم الله على الهدى،

وسلك بنا وبكم نهج سلفنا الصالح - رضوان الله عليهم - والسلام عليكم جميعا. محرَّرًا يوم ٨ جمادى الثانية سنة ١٣٧٢هـ". (٢٤/٠١/ ١٩٥٣م).

رسالة أخويَّة جوابا على رسالة من أهل وارجلان بالجزائر (جمادى الثاني ١٣٧٢هـ)[١]:

"بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد نبيِّه الأمين، وعلى آله وصحبه الطِّيبين الطاهرين، وسلَّم عليه وعليهم أجمعين، أمَّا بعد: فسلام يُعطِّر الأكوان نشرُه، ويتجدَّد تجدُّد الأزمان نشره[٢]، من إمام المسلمين محمَّد بن عبد الله الخليلي على إخوانه الوارجلانيِّين المتمسِّكين بحبل الله المتين، والسالكين سنَّة نبيِّه الأمين ﷺ، والناهجين منهج الأسلاف الصالحين الهادين المهتدين، أهديكم إخواني من التحيَّات وافرها، ومن التسليمات عاطرَها، ومن المحبَّة الدينيَّة زاهرَها، مبتهلاً إلى الله تعالى أن يجعلنا وإيَّاكم ممَّن اهتدى بهديه القويم، وهداه إلى صراط مستقيم، ونرغب إليه سبحانه أن يجعلنا أئمَّة للمتَّقين، وقادة لعباده إلى جنَّات النعيم، إنَّه كريم وهَّاب، يُعطي من يشاء بغير حساب.

إخواني العزاز، وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته المتواصلة، ونفحاتُه الوهبيَّة الزكيَّة الشاملة. تناولت رسالتكم الحافلة الحاملة لتحيَّاتكم الجليلة، ودعواتكم الصالحة الجزيلة، المبلِّغة عنكم ما انطوت عليه ضمائركم من خالص الوداد الناشئ من صميم الفؤاد، فشكرًا لكم وذكرًا، ولكم منِّي ومن إخواني الأدنيَن والأقصَيْن من التحيَّات أسماها وأسناها وأشملَها؛ ومن خالص الدعوات أزكاها وأعلاها وأعمَّها وأكملها؛ مؤمِّلا أن تكونوا بحال تُغبطون عليها.

إخواني أوصيكم بتقوى الله والدعاء إليه، والعمل بكتابه وسنَّة نبيه ﷺ، والسعي فيما يجمع كلمتكم، ويلمُّ شعثكم، وإيَّاكم وما يُورث الفُرقة، وانتشار نظام الوِحدة، واقتدوا بسلفكم الصالح، فكونوا عباد الله إخوانا، وفي الخير أعوانا، والله نسأله

١) اطَّلعنا على نسخة مخطوطة من الرسالة بمكتبة الشيخ حمد بن سيف بن عبد العزيز الرواحي.
٢) (كذا ولعلَّ الصواب بِشرُه، بالباء).

التوفيق لنا ولكم، ولا حول ولا قوَّة إلاَّ بالله العليِّ العظيم. والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

من الإمام وجميع الإخوان، حُرِّر في يوم ٨ جمادى الثاني عام ١٣٧٢". (٠١/٢٤/ ١٩٥٣م).

تواصل الإمام مع أعلام الحركة الإصلاحيَّة في العالم الإسلاميِّ:

كان للإمام محمَّد بن عبد الله الخليلي صلات وطيدة بإخوانه في العالم الإسلامي، وبالأخصِّ مع علماء المسلمين والقائمين على الحركة الإصلاحيَّة، وهو يُعدُّ نموذجًا حيًّا في ترسيخ العلاقة الحميدة الطيِّبة مع العالم الإسلاميِّ. ولعلَّنا نستطيع أن نكتشف اهتمامات الإمام ومواقفه من خلال بعض النماذج من المراسلات التي كانت تتمُّ بينه وبين أعلام الحركة الإصلاحيَّة في عصره، وهو ما سنراه في هذه النماذج.

رسالة الإمام الخليلي إلى المصلح الشيخ محمَّد رشيد رضا:

"بسم الله الرحمن الرحيم. من إمام المسلمين محمَّد بن عبد الله الخليلي إلى حضرة السيد العلَّامة المحقِّق أخينا السيِّد محمَّد رشيد رضا المحترم. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أمَّا بعد؛ فإن رأيتم إبطاءنا في الردِّ على كتابكم الكريم المرسل من مؤلَّفاتكم فذلك لا عن إهمال وعدم تقدير، وإنَّ لكم ولأمثالكم من إخواننا من علماء الدين الحنيف منزلة كبرى في القلب لا يحلُّها سواهم... (ثمَّ قال بعد بيان العذر) أمَّا مؤلَّفكم العظيم ففي غنى عن التقريظ والمديح، وإعجابنا به لا يُحدُّ، ولا شك أنَّه الحجَّة الدامغة، والقول المتين لمن لا يدين بهذا الدين القويم. وفَّقكم الله لخدمة الإسلام والمسلمين، وبارك الله فيما تنوون وتقصدون. وسلام الله عليكم"[1].

من خلال هذا النصِّ المقتضب من رسالة الإمام الخليلي نستشفُّ حرص الإمام على التواصل مع أعلام عصره، وبالخصوص مع رواد الحركة الإصلاحيَّة التي تبنى الإمام مبادئها، وكان متفاعلاً معها، وكذلك وزيره المجاهد الليبي سليمان

١) رشيد رضا، محمَّد: الوحي المحمَّدي، دار الكتاب الإسلامي، بيروت، د. ط، ١٩٨٥م، ص٣٦١-٣٦٢.

باشا الباروني، فحركة الإصلاح في العالم الإسلاميِّ كانت تمثِّل الفكر الإسلاميَّ المستنير في مواجهة التيَّارات الوافدة من الغرب من جهة، ومواجهة تيَّار الجمود ومحاربة البدع والخرافات والأوهام التي سيطرت على عقول المسلمين آنذاك. وتعبِّر هذه الرسالة - كذلك - عن انفتاح الإمام الفكريِّ على القضايا التي تهمُّ الأمَّة الإسلاميَّة في ذلك العصر، واهتمامه بإصلاح أوضاعها، اعتمادًا على كتاب الله وسنَّة رسوله محمَّد ﷺ، فالإصلاح كان من أهمِّ الأمور التي اعتنى بها الإمام في مسيرته الحافلة.

رسالة الإمام الخليلي إلى المجاهد الليبي سليمان باشا الباروني، وتفويضه لإصلاح ذات البين في المملكة العربيَّة السعوديَّة:

"من إمام المسلمين بعُمان محمَّد بن عبد الله الخليلي إلى جناب المجاهد في سبيل الله، الغيور في دين الله، أخينا الشيخ سليمان الباروني: حيث إنَّ العالم الإسلاميَّ في اضطراب واهتمام بقضيَّة الخلافة والأماكن المقدَّسة، وقد تقرَّر على ما بلَغنا عقد مؤتمر لأجل ذلك، فإنَّنا نكلِّف جنابك باسم الأمَّة العُمانيَّة أن تحضر هذا المؤتمر الذي سيعقد لهذا الغرض الدينيِّ السامي في مصر أو في غيرها من البلاد الإسلاميَّة، وليكن رأيك في مسألة الخلافة مطابقا لقواعد الشرع الصحيحة، وهي لا تخفى عليك، أمَّا مسألة الأماكن المقدَّسة فليكن رأيك فيها مبنيًّا على حمايتها من عبث العابثين بها، ووقايتها من تسلُّط كلِّ يد أجنبيَّة عليها، مهما كانت مقاصدها وصبغتها، وقد استحسنَّا جدًّا تكليف جناب السلطان إيَّاك بالتوجُّه إلى الحجاز مندوبًا من طرفه، وحاملا كتاب نصيحة منه إلى المتحاربين حول بيت الله الحرام، فنعم الرأي الذي رأيتماه، فإنَّ المسألة من أهمِّ ما يجب أن يهتمَّ به كلُّ مسلم، وإنَّنا ما نزال في شغل من ذلك، والمنتظَرُ من جنابك موافاتنا بالأخبار الصحيحة بدون فاصلة، والله تعالى نسأله أن يوفِّقك والمسلمين أجمعين إلى ما فيه خير دينهم ودنياهم، آمين. رمضان المعظَّم ١٣٤٣هـ"[١].

تحمل هذه الرسالة جملة من العبر والدلالات، تنبئ كلُّها عن سعة اطِّلاع الإمام، وبُعد نظره، وحرصه على خير الأمَّة الإسلاميَّة ووحدتها وتقدُّمها، وقد تناولت

١) الخليلي، محمَّد بن عبد الله: الفتح الجليل من أجوبة الإمام أبي خليل، المطبعة العموميَّة بدمشق، د. ن، ١٣٥٨هـ/١٩٦٥م، ص٣٩-٤٠.

مسألة الخلافة الإسلاميَّة باعتبارها قضيَّة مهمَّة لها أثرها العظيم في توحيد المسلمين، وقضيَّة الأماكن المقدَّسة باعتبارها من الحرمات التي يجب أن تصان كما تصان الأوطان من غزو الغزاة وأطماع العُداة، فيجب حماية هذه الأماكن من عبث العابثين بها، من داخل البلاد أو من تسلُّط أيِّ يد أجنبيَّة عليها. وعالجت الرسالة -أيضا- مسألة الدعوة إلى نبذ الصراع والتقاتل بين المسلمين في أرض الحجاز، فاستحسن الإمام تفويض السلطان للبارونِّي بتبليغ كتاب ينصحهم فيه بالكفِّ عن الخلاف وتوحيد الكلمة ولَمِّ الشعث وإصلاح ذات البين، خاصَّة وهم مجاورون لبيت الله الحرام، وكفى بذلك واعظًا لهم.

غير أنَّ الملاحظة الطريفة التي نريد الإشارة إليها في هذه الرسالة، هي أنَّ الإمام كلَّف المجاهد سليمان البارونَّي بمهمَّة رسميَّة، هي نفس المهمَّة التي كان مكلَّفًا بها من قِبَل سلطان مسقط آنذاك، فكان البارونيُّ سفيرًا لقائدين في وقت واحد. ونستشفُّ من الرسالة تواضع الإمام وتأييده للحقِّ وإقراره بالفضل لأهل الفضل؛ فقد استحسن مبادرة السلطان بإرسال البارونِي، وبارك هذه الخطوة لما فيها من الخير العميم لعُمان وللأمة الإسلاميَّة، مؤكِّدًا أنَّ مسألة إصلاح ذات البين وتوحيد صفِّ المسلمين من أهمِّ ما يجب أن يهتمَّ به كلُّ مسلم.

الوحدة الوطنيَّة والإسلاميَّة من خلال صِلته بحكَّام الدول وحكومات الأمم الأخرى:

رسالته إلى الملك سعود بن عبد العزيز آل سعود بشأن الوحدة الإسلاميَّة ونبذ التعصُّب المذهبيِّ:

"من إمام المسلمين محمَّد بن عبد الله الخليلي إلى حضرة جلالة الملك المعظَّم سعود بن عبد العزيز الفيصل آل سعود المحترم حفظه الله. سلامٌ عليك ورحمة الله وبركاته، وإنَّا نحمد الله على نعمه (...) إنَّ هذا لا يستبعد من حكومة جلالتكم العربيَّة الإسلاميَّة التي يسرُّها أن ترى المسلمين والعرب في عزٍّ ومجد وهناءة وسعادة، وقد جعلتنا نيَّتكم الطيِّبة الخالصة ندعو لكم بالنصر والتوفيق على سعيكم الجميل في توحيد كلمة المسلمين، وتكتُّلهم تحت لواء الإسلام، وانتسابهم إليه، ودعائهم إلى كتاب الله وسنَّة نبيه ﷺ، وإلى

ذلك أرشد القرآن العظيم، فقال: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِينَ﴾ (سورة آل عمران: ٨٥)، ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلاَمُ﴾ (سورة آل عمران: ١٩)، وقال ﷺ: "كونوا عباد الله إخوانا، وعلى الخير أعوانا"[١].

فيا صاحب الجلالة، قد استخلفكم الله في بلاده، فنرغب إليه سبحانه أن يجعلكم من الذين وصفهم في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاَةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ﴾ (سورة الحجّ: ٤١)، ومن المعروف السعي في توحيد كلمة المسلمين في إماتة الانتساب إلى المذاهب وإظهار التعصُّب اللذَيْن قَضَيَا على الإسلام، وتسلَّطَ على أبنائه عبدةُ الأصنام الأجانب الأكالب، وإنَّ لزوم ما كان عليه السلف الصالح والسير بالمسلمين سيرهم هو الذي يعيد علينا عزَّنا الشامخ ومجدنا الباذخ. هذا والسلام عليكم وعلى من يعزُّ عليكم. محررا يوم ٢٣ جمادى الأولى ١٣٧٣هـ"[٢].

إنَّ هذه الرسالة تعدُّ اليوم وثيقة تاريخيَّة مهمَّة يحقُّ لها أن تكتب بماء الذهب، فهي تؤكِّد المواقف الواضحة الراسخة التي يقوم عليها حكم الإمام الخليليِّ، ونظرته القياديَّة الإصلاحيَّة المتسامحة المتَّسعة لهموم الأمَّة الإسلاميَّة، وتؤكِّد شعور الإمام بخطر النعرات الطائفية والصراعات القبليَّة، وتأثيرها في استقرار الدول والجماعات، وكان خطابه إلى الملك السعوديِّ يحمل كثيرًا من الحكمة والحنكة الدبلوماسيَّة، والنصائح الغالية التي نذكر منها:

الدعوة إلى التسامح ونبذ التعصُّب المذهبيِّ والطائفيِّ والقبليِّ؛ وذلك لأنَّ الإمام يدرك ما عانته عُمان من ويلات وضعف وذلَّة بسبب الصراع القبليِّ المقيت، وأنَّ التعصُّب المذهبيَّ الأعمى سيؤدِّي إلى تشتُّت المسلمين وفرقتهم وضعفهم وهوانهم على الخلق، ممَّا يفتح ثغرات لأعداء الإسلام الذين لا ينفكُّون يسعون إلى تفريق وحدة المسلمين، والتدخُّل في شؤونهم، وإبعادهم عن منهج الله القويم، وإذكاء الصراعات فيما بينهم.

---

١) الربيع بن حبيب: الجامع الصحيح، باب جامع الآداب، رقم الحديث: ٦٩٦، د. ت. ن، ص١٧٨.

٢) الخليلي: الفتح الجليل، ص٤٤-٤٥.

النقطة الثانية التي تعبرٌ عنها الرسالة هي مسألة الاقتداء بالسلف الصالح؛ فالحركة الإصلاحيَّة تقوم على مبدأ أثير هو أنَّ صلاح آخر هذه الأمَّة لا يكون إلاَّ بما صلُح به أوَّلها، فعلى أئمَّة المسلمين أن يُصلحوا أحوال أقوامهم، ويرشدوهم إلى المحجَّة البيضاء، وأن يردُّوهم إلى دينهم القويم ردًّا جميلاً، فباقتفائهم لسيَر الصالحين المتقدِّمين تصلح حياتهم، ويقدروا حينئذ على توحيد صفوفهم، والانتقال بالوحدة الإسلاميَّة من مرحلة الفكرة والطموح، لجعلها واقعا حيًّا ملموسًا في الحياة اليوميَّة.

فهذه الرسالة - إذن - نموذج حيٌّ يؤكِّد أنَّ الإمام الخليلي - رحمه الله - لم يكن يعيش منزويًا في وطنه، معزولاً عمَّا يحيط به من تطوُّرات وأحداث في دول الجوار أو على المستوى العالميِّ، بل كان يشعر بقوَّة بالرابط الدينيِّ الذي يربط بني الإسلام، فيأسى لحال الأمَّة، بل كان يراسل أولي الأمر ليقترح الحلول ويصف الدواء لمعالجة الداء، فكانت دائرة الأمَّة الإسلاميَّة إحدى دوائر اهتمامه وانشغاله باعتباره قائدًا وحاكمًا من حكَّام المسلمين.

ومن الجميل في هذا المقام إيراد رسالة أخرى من الإمام الخليليِّ إلى سلطان نجد عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود، وقد حملها الوزير سليمان الباروني لمَّا أرسله الإمام والسلطان سعيد بن تيمور لإجراء الصلح بين السعوديِّين، ومحاولة رأب الصدع بين المسلمين المتقاتلين على جوانب البقاع المقدَّسة، فكان هذا نصُّها:

"بسم الله الرحمن الرحيم

إلى حضرة صاحب العظمة سلطان نجد وتوابعها، أخينا عبد العزيز بن عبد الرحمن السعود، لا برح في رُقيٍّ وإجلال. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أخوكم يحمد الله الواحد الأحد بحال يسرُّكم يرجو من الله أنَّكم بحال يسرُّ إخواننا المسلمين. منذ برهة من الزمن انقطعت مواصلات المكاتبات الوديَّة بيننا، فعساها لشاغل خير، والباعث على تحرير طرسنا هذا هو أنَّ حامله جناب الشيخ الجليل عندنا سليمان باشا الباروني، أحد رجال الإسلام، ومن علماء مذهبنا،

قصد السفر إلى مركز عدلكم الذي أضاءت أنواره أقصى ممالك الإسلام، فلزم تجديد مراسلات الصداقة وروابط المحبَّة بيننا، ولا شكَّ في أنَّها لا تتغيَّر. وبهذه المناسبة أتشرَّف بأن أصرِّح لعظمتكم بأنَّنا في كدر وأسف عظيمين من استمرار الحرب حول بيت الله الحرام بين إخوان مسلمين، كلٌّ منهم يعظِّم هذا البيت المقدَّس ويحترمه، نسأله تعالى أن يوفِّق الجميع إلى الوصول إلى طريقة حلٍّ تحقن الدماء، وتُرضي أهل الإسلام أجمعين، وحيث إنَّ حامل كتابنا هذا هو على ما نحن عليه من الكدر كلَّفناه بأن يُعرب لعظمتكم عن أحاسيسنا الدينيَّة توضيحا لِمَا كتبناه هنا، فالمرجوُّ اعتماد كلامه في هذا الصدد، فإنَّه الثقة الأمين، ولا شكَّ أَنَّ لكم الخبرة التامَّة فيه وفي أمثاله، وله تفانٍ وتضحية في كلِّ ما يتعلَّق بإصلاح حال الأمَّة الإسلاميَّة. وفي الختام أتمنَّى دوام علائق المودَّة الخالصة وقبول احترامي. رمضان سنة ١٣٤٣هـ"[١].

تتجلَّى في هذه الرسالة المبادئ الفكريَّة التي تقوم عليها فكرة الوحدة الإسلاميَّة، ومسألة السعي إلى إصلاح ذات البين داخليًّا وخارجيًّا عند الإمام الخليلي. فقد استهلَّ الرسالة بالتنبيه إلى أهمِّيَّة التواصل بين قادة وزعماء الأمَّة الإسلاميَّة لِمَا فيه الصالح العامُّ، وأكَّد على ضرورة إبقاء الروابط الودِّيَّة والأخويَّة موصولة بين الطرفين، ثمَّ عرج إلى لبِّ الموضوع الذي فوَّض المجاهد الكبير الباروني للحديث فيه، وهو استعلام الوضع من سلطان نجد، ومحاولة بذل النصيحة لإصلاح ذات البين بين المتقاتلين من بني الإسلام، وعبارة الإمام الخليلي كانت صادقة معبِّرة عندما قال: "أصرِّح لعظمتكم بأنَّنا في كدر وأسف عظيمين من استمرار الحرب حول بيت الله الحرام بين إخوان مسلمين"، فإنَّ الشعور الدينيَّ بأهمِّيَّة وحدة صفوف المسلمين والاتِّفاق على الائتلاف ونبذ الشقاق والخلاف، يُعَدُّ عند الإمام من أهمِّ الأولويَّات وأوكدها وأخطرها على استقرار الجماعات والأمم[٢].

---

١) نقلا عن السيفي، محمَّد بن عبد الله بن سعيد بن ناصر: النمير، روايات وحكايات، مكتبة الأنفال، سلطنة عُمان، د. ط، د. ت. ن، ج٣، ص١٧٧.

٢) نشير إلى أنَّ الإمام قد حمَّل الباروني رسالة أخرى في الموضوع نفسه إلى الملك الشريف علي بن الحسين، يمكن الاطلاع عليها عند: اطفيَّش، أبو إسحاق إبراهيم: "مجلَّة المنهاج"، السنة الأولى، الجزء ٣ و٤، مقال صادر في شهر ربيع الأوَّل ١٣٤٤هـ، ص١٦٩- ١٧٢.

رسالة احتجاج الإمام الخليلي على الحكومة البريطانيَّة إثر تهديد الوحدة الترابيَّة العُمانيَّة:

استُعرض فيما سبق كيف أنَّ الوحدة الوطنيَّة واستقلال التراب العُمانيِّ كان من الأمور المبدئيَّة الأساسيَّة في فكر الإمام، وكيف أنَّ هذا المبدأ وفَّق بين جهود الإمام والسلطان سعيد بن تيمور للذود عن حرمة التراب الوطني؛ فوطَّد العلاقة بينهما، والتفَّ الشعب العُمانيُّ حول قيادته السياسيَّة والروحيَّة من أجل استقلال الوطن وحمايته. وفي هذا الصدد نوثِّق هنا موقف الإمام الخليليِّ من الموضوع، فحينما باءت جهود الوساطة التي باشرها الخليليُّ بإرسال المندوبين للتفاوض مع قيادة المملكة العربيَّة السعوديَّة، فإنَّه توجَّه للإدارة الاستعماريَّة البريطانيَّة مباشرة بخطاب حادِّ اللهجة، معبِّرًا عن استعداد الشعب العُمانيِّ للتضحية من أجل الوطن ضدَّ أيِّ جهة داخليَّة أو خارجيَّة تسوِّل لها نفسها أن تعبث بوحدة ترابه واستقلاله، إذ كانت الإدارة البريطانيَّة تقف وراء هذه الحركات بما تشجِّعه من عوامل التفرقة والخلاف وزرع القلاقل، وتأييد أي حركة انفصاليَّة تستهدف إضعاف العُمانيِّين وتشتيت قواهم، من باب المقولة: "فرِّق تسُدْ"، ولكنَّ الإمام تنبَّه لهذه الحركات، وحمَّل الحكومة البريطانيَّة مسؤوليَّة ما سيحصل إن لم تبادر إلى إيقاف أطماع الدولة المجاورة في ثرى عُمان وثرواتها. وهذا نصُّ الرسالة كما نشره الشيخ أبو اليقظان الجزائريُّ في صحيفة "وادي ميزاب" موثَّقًا كاملاً:

"نزوى، (عُمان): ٢٤ ربيع الثاني ١٣٤٧هـ (١٩٢٨/١٠/٨م).

جناب قنصل بريطانيا العظمى في مسقط.

أمَّا بعد، فقد تواترت الأخبار من المصادر الصادقة بأنَّ في بعض الجهات بواسطة بعض الأشخاص مؤامرات ضدَّ سلامة استقلال بلادنا العُمانيَّة، وأن شيخ "بني بوعلي" رفع راية أجنبيَّة على منزله في قرية "عايقا" التابعة لمركز "صور" معلنًا انفصال قبيلة "بني بوعلي" عن المملكة العُمانيَّة والتحاقها بأجنبيٍّ عنها؛ ولذلك رأينا ضرورة إعلام جنابكم باسم الأمَّة العُمانيَّة بأنَّ الأمَّة لا تعترف بأيِّ اتِّفاق خارجيٍّ يتعلَّق بالبلاد مع أيِّ شخص كان، ولا تقبل أيَّة مداخلة أجنبيَّة بأيَّة صورة كانت، وتُمزِّق بسيوفها أيَّة راية مُحدثَة مهما كانت صفتها، ولو في شبر من الأرض

داخل حدود مملكتها العُمانيَّة من ظفار إلى قطر، ومن البحر إلى الربع الخالي، وإنَّها مستعدَّة لمحاربة كلَّ من يتوسَّل إلى ذلك بأيَّة وسيلة كانت، ما دامت في أفراد رجالها ذرَّة من الحياة؛ لأنَّها ترى مملكتها جسمًا واحدًا لا يقبل التجزئة بوجه من الوجوه. فنرجو تبليغ هذا إلى حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى تلغرافيًّا ليكون في علمها، خدمةً للسلم وحقنا للدماء. وفي الختام تقبَّلوا احترامنا وسلامنا. كتبه عن إذن إمام المسلمين المعظَّم عيسى بن صالح الحارثي"[1].

إنَّ أبرز ما نستخلصه من هذه الرسالة الموجَّهة إلى الحكومة البريطانيَّة أنَّ الإمام الخليليَّ كان لسانًا معبِّرًا عن شعبه، رافضًا أيَّ تدخُّل أجنبيٍّ في شؤون وطنه عُمان، وأنَّ تشجيع فئات بعينها للانفصال عن الوطن الأمِّ وإبداء الولاء للأجنبيِّ أمر غير مقبول إطلاقا في عُرف الإمام، وأنَّ وحدة التراب الوطنيِّ يعدُّ أمرًا لا مزايدة ولا مساومة فيه، كلُّ التراب الوطني: من ظفار إلى قطر، ومن الساحل إلى الربع الخالي... هذه في رأينا أقوى رسالة وأوضح بيان لاستمساك الشعب العُمانيِّ الأصيل بوحدة ترابه الوطنيِّ، واستعداده للتضحية من أجله بالنفس والنفيس؛ كما قال الإمام – رحمه الله –: "مادامت في أفراد رجالها ذرَّة من الحياة". فرغم ما يعرف به الإمام من التواضع والهدوء والاتِّزان والتعقُّل والصفح والحلم وكلِّ ما أثر عنه من الأخلاق السمحة الطيِّبة، فإنَّه لَمَّا يصل الأمر إلى المساس بالوطن واستقلاله ينقلب أسدًا هصورًا، وقائدًا عسكريًّا محنَّكًا عظيمًا، لا يخاف في الله لومة لائم، ولا يتوانى عن التضحية وبذل النفس في سبيل أمَّته ووطنه.

خاتمة:

بعد هذا التطواف في فكر الإمام الخليليِّ الوحدويِّ، وبعد استعراض صور مشرقة من مواقفه الحريصة على الوحدة الوطنيَّة والإسلاميَّة من خلال صلاته برعيَّته وبأعلام عصره، فإنَّنا نخرج بنتائج نجملها في النقاط العشر الآتية:

- تُعدُّ مسألةُ وَحدة التراب العُمانيِّ واللحمة الوطنيَّة مسألةً جوهريَّة في فكر الإمام محمَّد بن عبد الله الخليلي؛ هذه الوحدة التي لا تنفكُّ تنبع من تصوُّر شاملٍ

١) نسخة مصورة من الوثيقة بحوزتنا، أبو اليقظان، إبراهيم بن عيسى: "احتجاج إمام عُمان"، جريدة "وادي ميزاب"، العدد ١١٢، صادر بتاريخ: ١٩٢٨/١١/١٤م.

لمسألة الوحدة الإسلاميَّة التي حثَّ عليها الإسلام.

- تولىَّ الإمام الخليليُّ إمامة عُمان في ظرف اجتماعيٍّ واقتصاديٍّ عصيب، كانت فيه النزعة القبليَّة متحكِّمة مسيطرة، وحالة ثقافيَّة متردِّية بسبب الفتن وتأثيرات الحربين العالميَّتين الأولى والثانية، وتكالب دول الاستعمار على البلاد العربيَّة، ما أدَّى إلى انقسام عُمان قسمين، ولكنَّه استطاع بإيمانه وعدله وحنكته أن يقضي على الفتن وينشر السلم والاستقرار ولو بشكل نسبيٍّ.

- الفكر الوحدويُّ عند الإمام لم يكن وليد نظرة آنية محلِّية ضيِّقة الأفق، ولا كان طفرة في التاريخ العُمانيِّ، بل كان وراءها عقيدةٌ إيمانيَّةٌ راسخةٌ، وتصوُّرٌ شموليٌّ لمسألة وحدة المسلمين، مصدرها القرآن والسنَّة وسيرة السلف الصالح من أئمَّة الإباضيَّة وعلمائهم.

- على الرغم من الملابسات والنوايا التي تَّم بمقتضاها توقيع معاهدة السيب بتاريخ ٢٥ سبتمبر ١٩٢٠م بين السلطان تيمور بن فيصل والإمام الخليلي، فإنَّنا لا نستطيع إنكار تأثيرها الإيجابيِّ في توطيد علاقة السلطنة بالإمامة، ونشر السلم والاستقرار، وإطفاء نار الفتن والصراعات، ما أعطى فرصة للطرفين لبعث الحياة الاقتصاديَّة والعلميَّة، وتحسين الحياة الاجتماعيَّة للعُمانيِّين.

- كان الإمامُ حريصًا على وحدة الصفِّ، وجمع الكلمة، ورأب الصدع، ونبذ الاختلاف الطائفيِّ والنزاع القبليِّ، فاهتمَّ بإصلاح ذات البين، وجنح إلى السَّلم والصلح والإصلاح في معاهدة السيب.

- كان الإمامُ الخليليُّ حريصًا على تماسُك الشعب العُمانيِّ وتلاحُم أفراده بشتى طوائفه ومذاهبه، شعوريًّا وفكريًّا وجغرافيًّا أمام أطماع بعض دول الجوار، أو التهديدات الاستعماريَّة الأجنبيَّة، وكان الإمام في تمام الوفاق والتعاون مع سلطان مسقط -الشعب العُماني من خلفهما - في مسألة الدفاع عن سلامة التراب الوطنيِّ واستقلاله.

- كان الإمام الخليليُّ حريصًا على التواصل مع عمَّال إمامته ومشايخ القبائل وأعيانهم. والرسائل الكثيرة جدًّا والشهادات الحيَّة المتضافرة تؤكِّد أنَّه كان

يتابع الأوضاع عن كثب، ويسهر على انتظام حياة الرعيَّة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

- يسجِّل التاريخ عناية الإمام الخليلي بمسألة السلام والأمن والاستقرار العالميِّ، فكان يراسل الملوك والحكَّام، ويحاول إيجاد الحلول للفتن والصراعات الناشبة في دول الجوار بالخصوص، وكان يستحسن مبادرات سلطان مسقط التي تصب في هذا السبيل النبيل.

- كان - رحمه الله - مهتمًّا بأحوال المسلمين في بلاد المغرب الإسلاميِّ، مُتتبِّعًا لشؤونهم، ومُجيبًا عن أسئلتهم ورسائلهم، حريصًا على وحدة صفِّهم واجتماعِ كلمتِهم، وكلِّ ما فيه صلاحُ دنياهم وآخرتهم.

- أخيرا، فإنَّ الإمام الخليليَّ الذي تُؤْثَر عنه قصص في التواضع والتعقُّل والصفح والحلم... يتحوَّل شخصًا آخر لمَّا يصل الأمر إلى المساس بالوطن واستقلاله، وينقلب أسدًا هصورًا، وقائدًا عسكريًّا محنَّكًا لا يتوانى عن التضحية في سبيل وطنه، وبذل نفسه في سبيل أمته.

المصادر والمراجع:

المخطوطات والوثائق:

- الخليلي، محمَّد بن عبد الله: "رسائل الإمام الخليلي" وبعض أحكام الإمام والمراسلات من أشياخ عُمان. مجلَّد مخطوط بيد يحيى بن ناصر بن حميد بن سعيد الراشدي، حرِّر سنة ١٤٠٦هـ. (نسخة مصوَّرة من المخطوطة).
- صورة رسالة الإمام محمَّد بن عبد الله الخليلي إلى أهل ميزاب، بخطِّ سيف بن سعيد بن محمَّد المعولي، منقول من خطِّ سفيان بن محمَّد بن عبد الله الراشدي.
- صورة رسالة القطب اطفيَّش جوابا عن أسئلة محمَّد بن عبد الله الخليلي.
- صورة رسالة القطب امحمَّد بن يوسف اطفيَّش لمحمَّد بن عبد الله الخليلي لطلب الاعتراف بدرجة الاجتهاد المطلق.
- صورة للنسخة الأصليَّة من معاهدة السيب أو اتِّفاقيَّة السيب.
- اللمكي، سيف بن سالم بن سيف: مخطوط في سيرة الإمام الرضيِّ محمَّد بن عبد الله الخليلي، بحوزة أحفاد المؤلِّف.

الكتب المطبوعة:

- اطفيَّش، امحمَّد بن يوسف: جامع الشمل في أحاديث خاتم الرسل، مكتبة الاستقامة، روي، د. ت. ن،
- التسخيري، محمَّد علي: حول الوحدة والتقريب، المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلاميَّة، إدارة النشر والمطبوعات، طهران، إيران، ط١، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.
- الخليلي، أحمد بن حمد بن سليمان، الحقُّ الدامغ، د. ن، د. ط، مسقط، سلطنة عُمان، ١٤٠٩هـ.
- الخليلي، سعود بن علي: كلمة، صفحات من التاريخ العُماني، د. ن، مسقط، سلطنة عُمان، ٢٠١٥م.
- الخليلي، محمَّد بن عبد الله: الفتح الجليل من أجوبة الإمام أبي خليل، طبع بإشراف عزّ الدين التنوخي، المطبعة العموميَّة بدمشق، ١٣٥٨هـ/١٩٦٥م.
- الربيع بن حبيب: الجامع الصحيح، مسقط، سلطنة عُمان، د. ت.
- رشيد رضا، محمَّد: الوحي المحمَّدي، دار الكتاب الإسلاميِّ، بيروت، د. ط، ١٩٨٥م.

- السالمي، أبو بشير محمَّد الشيبة بن عبد الله بن حميد: نهضة الأعيان بحرِّيَّة عُمان، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٦٠م.
- السرحني، إبراهيم بن سعيد: قلائد المرجان في ذكر السيرة العطرة لأئمَّة عُمان، نشر وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط، سلطنة عُمان، ١٩٩١م.
- السعدي، فهد بن علي بن هاشل: لقاءات سماحة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي المفتي العامُّ لسلطنة عُمان - الفكر والدعوة، مكتبة الأنفال، مسقط، سلطنة عُمان، د. ط، د. ت.
- السيابي، سالم بن حمود بن شامس: عُمان عبر التاريخ، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عُمان، ط٢، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م.
- السيفي، محمَّد بن عبد الله بن سعيد بن ناصر: النمير، روايات وحكايات، مكتبة الأنفال، سلطنة عُمان، د. ط، د. ت، ج٣.
- الشكيلي، إبراهيم بن محمَّد بن حامد: مدرسة الإمام محمَّد بن عبد الله الخليلي وأثرها في نشر العلم، ط١، د. ن، د. م. ن، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م.
- عبد الله، محمَّد مرسي: إمارات الساحل وعُمان والدولة السعوديَّة، ١٧٩٣-١٨١٨م، المكتب المصري الحديث، القاهرة، مصر، د. ط، ١٩٧٨م.
- العبري، عبد الله بن مبارك بن سيف: الإمام الرضيُّ محمَّد بن عبد الله الخليلي وفقهه، سلسلة تراث الإمام الخليلي (١)، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، السيب، سلطنة عُمان، ط١، ١٤٣٧هـ/ ٢٠١٦.
- غباش، حسين عبيد غانم: عُمان الديموقراطيَّة الإسلاميَّة، تقاليد الإمامة والتاريخ السياسي الحديث ١٥٠٠-١٩٧٠، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٦م.
- مؤسَّسة الشيخ عمِّي سعيد: جوابات الإمام القطب - القسم الأوَّل: الأجوبة العلميَّة، نسخة أوَّليَّة، مرقون غير منشور، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م.
- ناصر، محمَّد صالح: الشيخ أبو إسحاق إبراهيم اطفيَّش في جهاده الإسلامي، كولوريوم للنشر والتوزيع، وزارة الثقافة، الجزائر، ط٢، ٢٠١٣.
- ناصر، محمَّد بن صالح والشيباني، سلطان بن مبارك: معجم أعلام الإباضيَّة من القرن الأوَّل الهجري إلى العصر الحاضر؛ قسم المشرق، دار الغرب الإسلاميِّ، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

المقالات والبحوث والدوريات:

- أبو اليقظان، إبراهيم بن عيسى: "احتجاج إمام عُمان"، جريدة "وادي ميزاب"، ع: ١١٢، صادر بتاريخ: ١٩٢٨/١١/١٤م.
- اطفيَّش، إبراهيم أبو إسحاق: "مجلَّة المنهاج"، السنة الأولى، الجزء ٣ و٤، مقال صادر في شهر ربيع الأوَّل ١٣٤٤هـ.
- الحسيني، فاضل محمَّد: "الدور البريطاني في عقد اتِّفاقيَّة السيب عام ١٩٢٠ بين سلطان مسقط وإمام داخليَّة عُمان"، حوليَّة كلِّيَّة الإنسانيَّات والعلوم الاجتماعيَّة، جامعة قطر، ع: ١٩، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، ص ١٧٧.
- المسكري، هاشل بن راشد: "عُمان تسبح في وهم (١)"، جريدة الفلق، زنجبار، ع: ٥٥٢، بتاريخ ١١ جمادى الثانية ١٣٥٨هـ/ ٢٩ يوليو ١٩٣٩م. والجزء الثاني صدر في ذات الصحيفة ع: ٥٥٣، بتاريخ ١٨ جمادى الثانية، ١٣٥٨هـ/ ٠٥ أغسطس ١٩٣٩م.

الكتب والدراسات الأجنبية:

- Aitchishon. C. U. A Collection of treaties. Engagement and Sands Relating to India and Neighboring Countries. Vol. XI. Delhi.
- (R). Not In The Limelight. London. Hutchinson and Co. Ltd. 1959.

ملحق الوثائق:

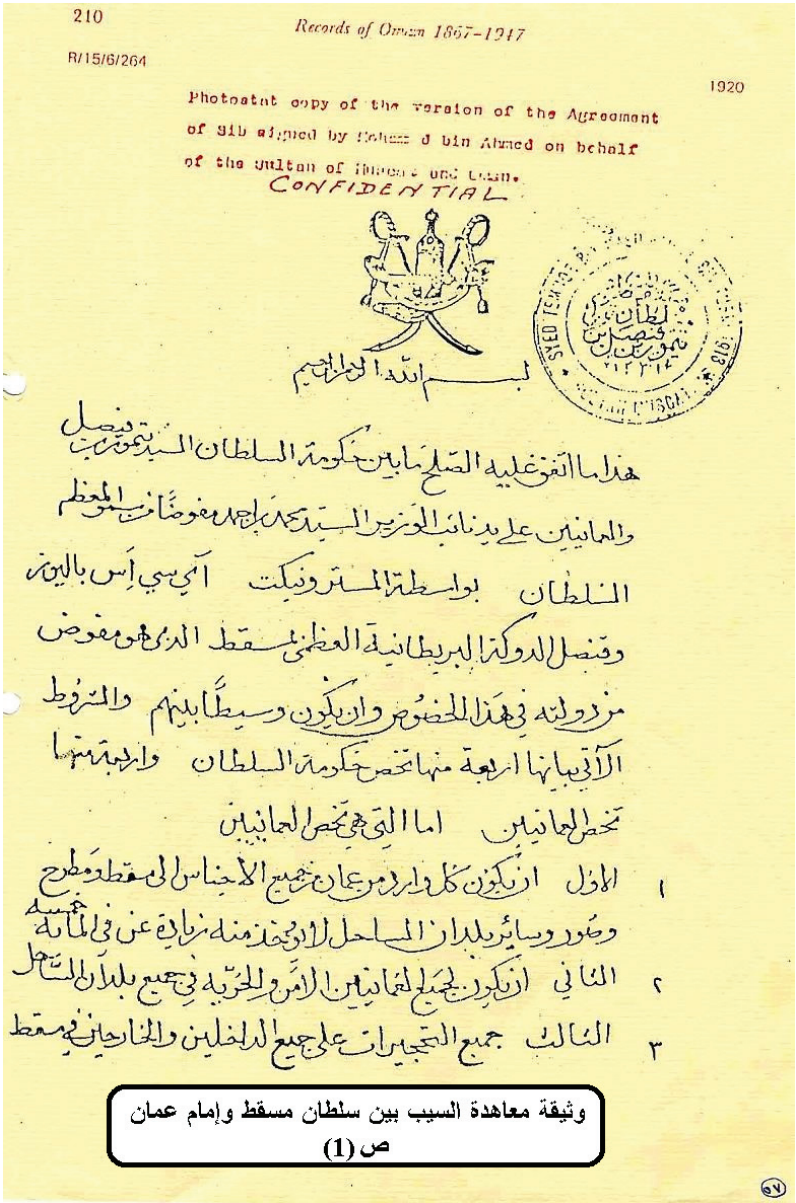

210

Records of Oman 1867-1947

R/15/6/264

1920

Photostat copy of the version of the Agreement of 1920 signed by Isaac d bin Ahmed on behalf of the Sultan of Muscat and Oman.

CONFIDENTIAL

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما اتفق عليه الصلح مابين حكومة السلطان السيد تيمور بن فيصل والمانيين على يد نائب الوزير السيد حمد بن ابراهيم مفوضا من جانب المعظم السلطان بواسطة المستر ونيكت آي سي اس بالين وقنصل الدولة البريطانية العظمى بمسقط الذي هو مفوض من دولته في هذا الخصوص وان يكون وسيطا بينهم والشروط الآتي بيانها اربعة منها تخص حكومة السلطان واربعة منها تخص المانيين اما التي هي تخص المانيين

١ الاول ان يكون كل وارد من عمان جميع الاجناس الى مسقط ومطرح وصور وسائر بلدان الساحل لا يؤخذ منه زيادة عن في المائة خمسة

٢ الثاني ان يكون لجميع المانيين الامن والحرية في جميع بلدان الساحل

٣ الثالث جميع التجيرات على جميع الداخلين والخارجين في مسقط

وثيقة معاهدة السيب بين سلطان مسقط وإمام عمان ص (1)

ومطرح وجميع بلدان الساحل ترفع

٤ الرابع ان لا تأوي حكومة السلطان مذنبا يهرب من البلاد العمانيين وان ترجعه اليهم اذا طلبوه منها وان لا تتداخل في داخليتهم

واما الاربعة التي تخص حكومة السلطان فهذا بيانها

الاول كل القبائل والمشايخ يكونوا بالامن والصلح مع حكومة السلطان وان لا يهاجموا بلاد الساحل ولا يتداخلوا في حكومته

الثاني كل المسافرين الى عمان في مشاغلهم الجائزة والامور التجارية يكونوا احرار ولا تكون تحجيرات على التجار وهم الامن

الثالث كل محدث ومذنب يهرب اليهم يطرد ولا يأووه

الرابع ان تكون دعاوي التجار وغيرهم على العمانيين تسمع وتفصل على موجب ماهو الانصاف بالحكم الشرعي حرر ذلك بمسقط في يوم الرابع عشر من شهر محرم الحرام عام الف وثلاثمائة وتسعة وثلاثين هجرية موافق ثامن عشر من شهر ستمبر عام ١٩٢١ مسيحي

صحيح النايب

وثيقة معاهدة السيب بين سلطان مسقط وإمام عمان
ص (2)

صورة الصفحة الأولى للنسخة (منفرد 146)، مكتبة وزارة الشؤون الدينية والأوقاف/ مسقط- سلطنة عمان. رقم : بلا.

رسالة من القطب اطفيش

جوابا لرسالة من محمد بن عبد الله الخليلي

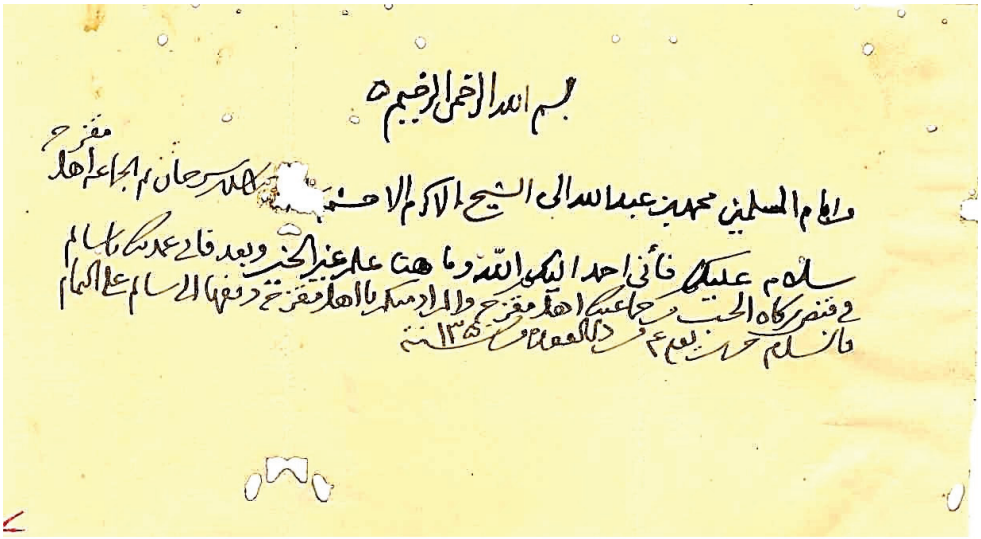
بسم الله الرحمن الرحيم

والمام المسلمين محمد بن عبد الله الى الشيخ الاكرم الاحـ[redacted] الاكرم حان ام اجاء اهلا مفرح

سلام عليك فاني احمد اليك الله وما هنا علم غير الخير وبعد فاني عندنا بالسلام في قنص كاه الحب وجاعنا اهلا مفرح والمراد سلما اهلا مفرح وفيها السلام على السلام فالسلام حرب بيع في ذي القعدة سنة ١٣٥

توكيل بخطِّ يد الإمام محمَّد بن عبد الله الخليلي

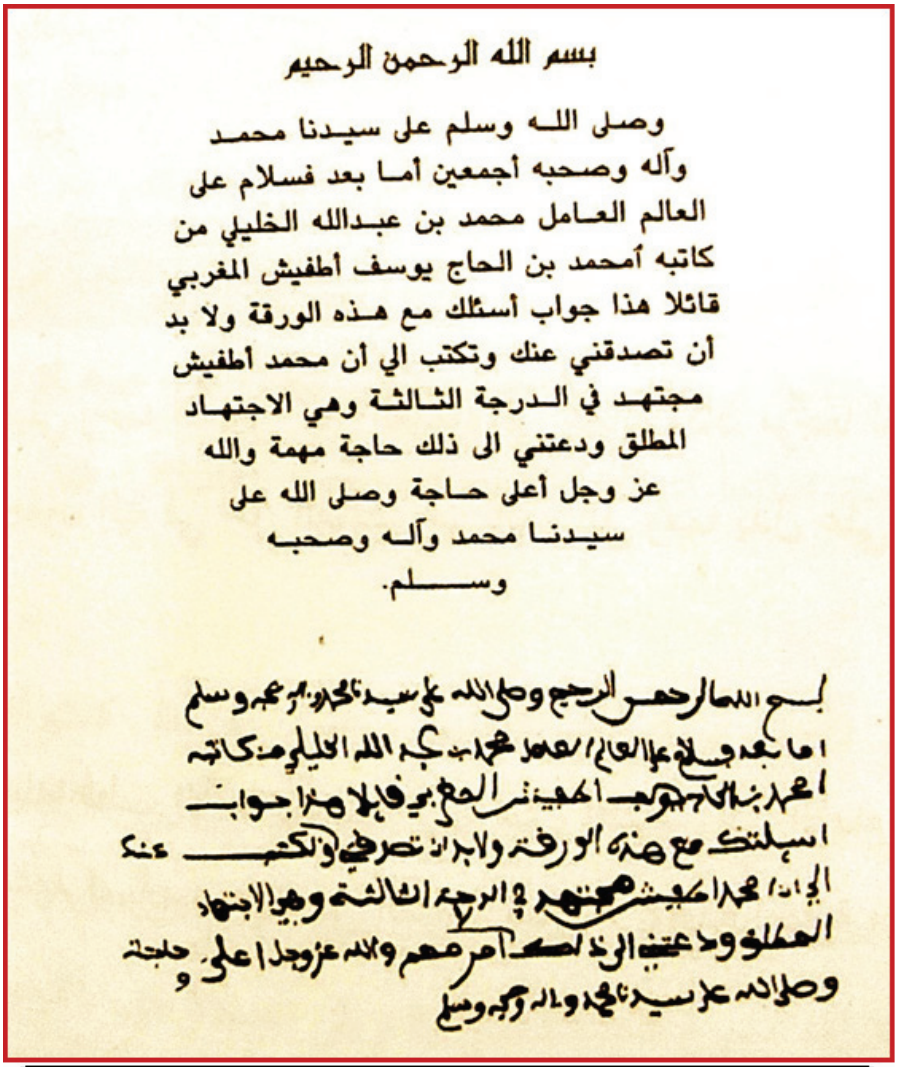

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد
وآله وصحبه أجمعين أما بعد فسلام على
العالم العامل محمد بن عبدالله الخليلي من
كاتبه أمحمد بن الحاج يوسف أطفيش المغربي
قائلا هذا جواب أسئلك مع هذه الورقة ولا بد
أن تصدقني عنك وتكتب الي أن محمد أطفيش
مجتهد في الدرجة الثالثة وهي الاجتهاد
المطلق ودعتني الى ذلك حاجة مهمة والله
عز وجل أعلى حاجة وصلى الله على
سيدنا محمد وآله وصحبه
وسلم.

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم
اما بعد فسلام على العالم العامل محمد بن عبد الله الخليلي من كاتبه
امحمد بن الحاج يوسف اطفيش المغربي قائلا هذا جواب
اسئلتك مع هذه الورقة ولابد ان تصدقني وتكتب عنك
الي ان محمد اطفيش مجتهد في الدرجة الثالثة وهي الاجتهاد
المطلق ودعتني الى ذلك امر مهم والله عزوجل اعلى وحاجة
وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

رسالة القطب إلى محمَّد بن عبد الله الخليلي لطلب الشهادة له بدرجة الاجتهاد المطلق (قبل تولِّي الخليلي للإمامة)

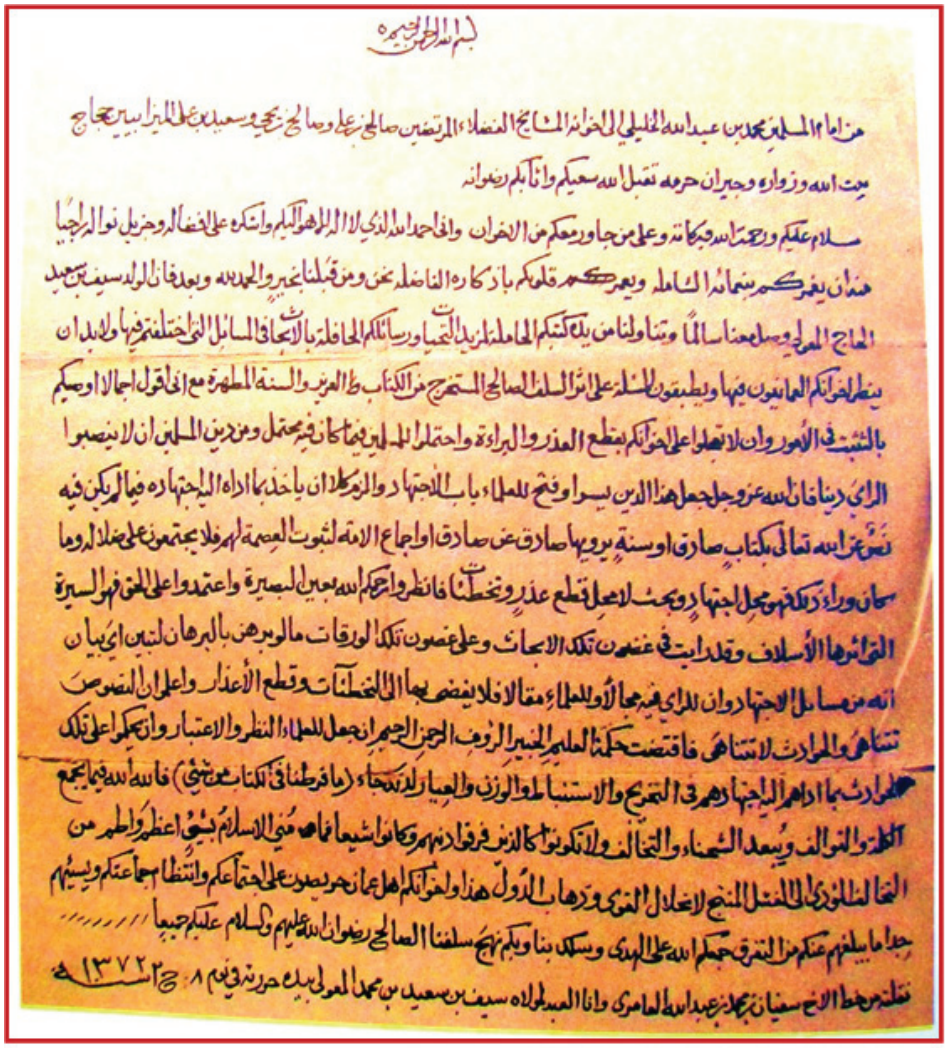

بسم الله الرحمن الرحيم

من العبد المسلم محمد بن عبد الله الخليلي إلى الإخوان المشايخ الفضلاء المرتضين صالحي زعل وصالح بن يحيى وسعيد بن علي المزاريين حجاج بيت الله وزواره وجيران حرمه تقبل الله سعيكم وأنا بكم رضوانه

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وعلى من جاور معكم من الإخوان وإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو العليم الواسع على الفضائل وجزيل نوائل الراجيا

هذا أن يغمركم بسمائه الشاملة ويعمركم قلوبكم بأذكاره الفاضلة نحن ومن قبلنا بخير والحمد لله وبعد فإن الولد سيف بن سعيد الحاج المعولي وصل عندنا سالمًا وتناولنا من يده كتبكم الحاملة لمزيد التحيات ورسائلكم الحافلة بالإتحاف المسائل التي اختلفتم فيها ولابد أن

ينظر إخوانكم العارفون فيها ويطبقون المسألة على أثر السلف الصالح المستخرج من الكتاب ط العزيز والسنة المطهرة مع إني أقول إجمالا أوصيكم

بالتثبت في الأمور وأن لا تعجلوا على إخوانكم بقطع العذر والبراءة واحتمال المسلمين فيما كان فيه محتمل ومن دين المسلمين أن لا ينصبوا

الرأي دينا فإن الله عز وجل جعل هذا الدين يسرا وفتح للعلماء باب الاجتهاد والزم كلا أن يأخذ بما أداه اليه اجتهاده فيما لم يكن فيه

نص عن الله تعالى بكتاب صادق أو سنة يرويها صادق عن صادق أو إجماع الأمة لثبوت العصمة لهم فلا يجتمعون على ضلالة وما

سوى وراء ذلك فهو محل اجتهاد وبحث لا محل قطع عذر وتخطئة فانظروا رحمكم الله بعين البصيرة واعتمدوا على الحق فهو السيرة

التي أثرها الأسلاف وقد رأيت في غضون تلك الأبحاث وعلى عضون تلك الورقات ما الوبرهن بالبرهان لتبين أي بيان أن

أنه من مسائل الاجتهاد وأن للرأي فيه مجالا وللعلماء مقالا فلا يفضي بها إلى التخطئات وقطع الأعذار واعلموا أن النصوص

تتناهى والحوادث لا تتناهى فاقتضت حكمة العليم الخبير الرؤف الرحيم الرحمن أن جعل للعلماء النظر والاعتبار وأن يحكموا على تلك

الحوادث بما أداهم اليه اجتهادهم في التعرف والاستنباط والوزن والعيار لذلك جاء (ما فرطنا في الكتاب من شيء) فالله الله فيما يجمع

الكلمة والتوالف ويبعد الشحناء والتخالف ولا تكونوا كالذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا فما هي الإسلام بشيء أعظم وأطم من

التخالف المؤدي إلى الفشل المنتج لاختلال القوى وذهاب الدول هذا وإخوانكم أهل عمان حريصون على اجتماعكم والتئام جماعتكم ويسيهم

جدا ما يبلغهم عنكم من التفرق جمعكم الله على الهدى وسلك بنا وبكم نهج سلفنا الصالح رضوان الله عليهم والسلام عليكم جميعا

تحريرا في ٨ ج ١٣٧٢ هـ

نقلته من خط الأخ سفيان بن محمد بن عبد الله العامري وأنا العبد لمولاه سيف بن سعيد بن محمد المعولي بيده حررته في يوم

رسالة الإمام الخليلي إلى بعض المشايخ المزابيين بشأن قضية الصوم بالتلفون 1372 هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد نبيه الأمين وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين وسلم عليهم أجمعين

اما بعد فسلام يعطر الأكوان نشره ويتجدد بتجدد الأزمان نشره من إمام المسلمين محمد بن عبد الله الخليلي على إخوانه الوارجلانيين المتمسكين بحبل الله المتين والسالكين سنة نبيه الأمين صلى الله عليه وسلم والناهجين منهج الأسلاف الصالحين الهادين المهتدين اهديكم إخواني من التحيات أزكاها ومن التسليمات أعمها ومن المحبة الدينية أزهرها متهللا إلى الله تعالى أن يجعلنا وإياكم ممن اهتدى بهديه القويم وهداه إلى صراطه المستقيم ونرغب إليه سبحانه أن يجعلنا أئمة للمتقين وقادة لعباده إلى جنات النعيم إنه أكرم مرهوب يعطى من يشاء بغير حساب ... إخواني الأعزاء وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته المتواصلة ونفحاته الوهبية الزكية الشاملة تناولت رسالتكم الحافلة الحاملة لتحياتكم الجليلة ودعواتكم الصالحة الجزيلة المبلغة عنكم ما انطوت عليه ضمائركم من خالص الود الناشئ من صميم الفؤاد فشكرا لكم وذكرا ولكم مني ومن إخواني الأدنين والأقصين من التحيات أسماها وأسناها وأسلمها ومن خالص الدعوات أزكاها وأعلاها وأعمها وأتمها مؤملا أن تكونوا بحالة تغبطون عليها إخواني أوصيكم بتقوى الله والدعاء إليه والعمل بكتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم والسعي فيما يجمع كلمتكم ويلم شعثكم وإياكم وما يورث الفرقة وانتثار نظام الوحدة واقتدوا بسلفكم الصالح فكونوا عباد الله إخوانا وفي الخير أعوانا والله نسأله التوفيق لنا ولكم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ////

من الإمام وجميع الإخوان حرر في ١٨ ج٢ عام ١٣٧٢

رسالة الإمام الخليليِّ إلى إخوانه الوارجلانيِّين الجزائريِّين عام 1372هـ

الجزائر — يوم الثلاثاء ١ ربيع الثاني ١٣٥٧

من المشرق الى المغرب

من امـــــام المسلمين بعمـان

الى اخـوانه الاباضيين بالمغرب

الامام الخليلي يقول كلمته الفاصلة في مسألة التليفون !

لم يكن ليخطر ببالنا ان نرفع قلما في هذه المسألة التي فضحت واحرقت لولا ان مكاتبنا الفاضل بعمان ذكرنا - رعاه الله - في رسالته التي نشرنا ملخصها في عددنا الماضي بما عليه عظمة الامام ابي عبدالله محمد بن عبد الله الخليلي من شدة اهتمامه باحوال اخوانه المسلمين في الشرق والمغرب وبما يقاسيه من المتاعب والمصاعب من المتسلطين رؤساء الجمود الذين كانوا ولا يزالون عرقلة كاداء في سبيل الاصلاح الديني والاجتماعي ايما كاد وا حتى افتحم مع بعضهم معركة دموية ذهبت ضحيتها دماء زكية في الوقت الذي يجب ان توفر لسانة المطر

ولم نكن للعطي هذه المسألة الفاقية من القيمة ما يوجب ان نقرن هي واسم عظمة الامام في عنوان لولا ان بعض العاطلين عندنا اتخذوها سلما يريدون ان يصعدوا به على الجماهير - وهم لا في الخير ولا في التغيير - وجعلوها في مقدمة المشاكل الضرورية حتى اوفدوا الى الامام لاجلها الوفود وحرروا اليه فيها عرائض بما فات اليهم نظيره فصنعهم بهذه الصنعة المؤلمة وتحملوها ساكتين .

وحيث تبرعوا هم بهذا السعي المبرور ١٠٠٠ فانا نكمل لهم ما عجزوا او احجموا عنه فننشرها لقراء « الامة » كما وعدنا فيما يلي :

نص رسالة الامام الخليلي :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي الف بين عباده المسلمين بتمسكهم بالدين والصلاة والسلام على النبي المصطفى الذي مهد قواعد الاسلام وترك الناس على محجة بيضاء ثم سلام منا معشر المسلمين اجمعين على اخواننا المتمسكين بالدين من اهل ميزاب اجمعين .

أما بعد فقد بلغنا الخلاف الكائن بينكم من قبل خبر التليفون ، ونحن نجهل ذلك الا انا رأينا في كتبكم واستدلال الفوز منكم انه على سبيل الفرض والتقدير ان يكون التكلم فيه مثلا فلان ، أي الفلاني بنفسه او إشارة من الحاكم العدل نفسه انه صبح غدي هلال شهر رمضان مثلا فان كان الامر على هذا السبيل ؛ وكون التليفون تليفون كما ذكر هو انه لا يتغير صوت المتكلم فيه وقاسه هو على تلك المسائل التي توسع فيها بعض العلماء فعلى هذا ان كان الرجل مجتهدا فله اجتهاده ولغيره من المجتهدين اجتهادهم ولا نرى حينئذ موجبا لوصل الورقة وتحميل على البراءة كان امر البراءة شديد ونرى من قول المانعين ان خبر التليفون قد يتغير عن حكاية صوت المتكلم باحوال وبعد المسافة الخ ، وفرق بين رجل يكلمك عن قرب فان هناك تتظافر الدلائل على ان المتكلم هو فلان وان تشاهده (لعل هذا سقطا نقل عنه الناسخ عن الاصل وصورته « وبين رجل يكلمك عن بعد فتتوفر لديك الدلائل على ان المتكلم هو فلان ، حيث لم تشاهده » من اجل الحائل ولانه لا يحكي الصوت كما هو ولانه يتغير لاجل الرياح والامطار وغيرها ولان في هذا شططا والدين يسر ولانه محل لاجتماع فهذا الخد به وهذا غير قابل له ونقول ان الاخذ بهذا القول هو الاسلم وابعد من التكلف والقائل بغيره لا يعنف والسكوت عن هذه المسألة هو الاولى ولسنا أول من اختلف فيها وليست هي اول مسألة وقع فيها الخلاف وقد سكتت السلفون عن مسائل جمة حين رأوا الخوض فيها لا فائدة فيه ؛ ومع هذا فنوصيكم وانفسنا بتقوى الله والتناصح والسعي في جمع الكلمة وازالة ما يبعد بين القلوب وقبول الحق ممن جاء به والدعوة الى سبيل الحق بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي احسن وان يكون همكم التخلق باخلاق القرآن واقتبسوا ذلك من سيرة خير الانام وفي النظر في سيرة اوائلكم ما يدلكم على ذلك واعتصموا بحبل الله ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم .

حرر يوم ٧ رمضان المعظم سنة ١٣٥٦

امام المسلمين : محمد بن عبد الله الخليلي

رسالة من إمام المسلمين بعمان إلى إخوانه الإباضية بالمغرب

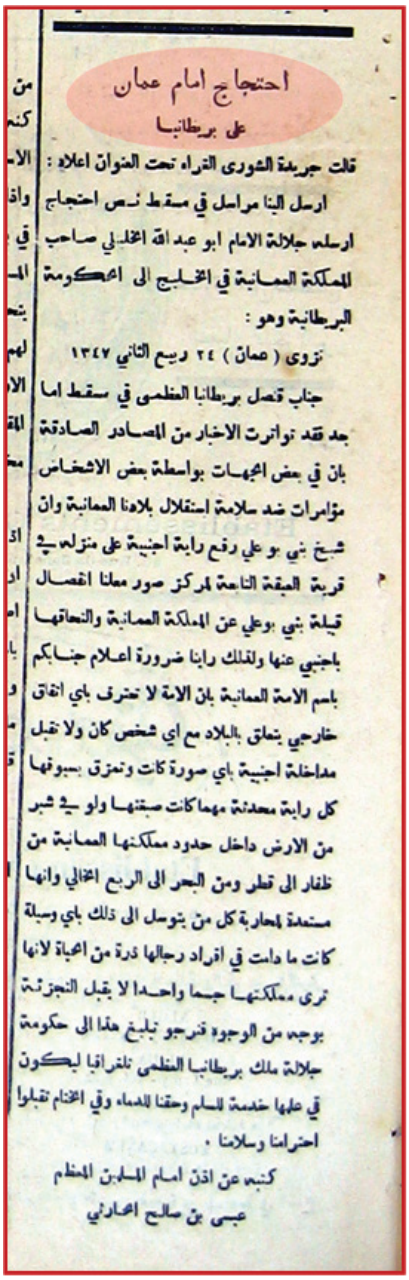

احتجاج امام عمان

على بريطانيا

قالت جريدة الشورى الغراء تحت العنوان اعلاه :

ارسل الينا مراسل في مسقط نص احتجاج ارسله جلالة الامام ابو عبد الله الخليلي صاحب المملكة العمانية في الخليج الى الحكومة البريطانية وهو :

نزوى (عمان) ٢٤ ربيع الثاني ١٣٤٧

جناب قنصل بريطانيا العظمى في مسقط اما بعد فقد تواترت الاخبار من المصادر الصادقة بان في بعض الجهات بواسطة بعض الاشخاص مؤامرات ضد سلامة استقلال بلادنا العمانية وان شيخ بني بو علي رفع راية اجنبية على منزله في قرية العيقة التابعة لمركز صور معلنا انفصال قبيلة بني بوعلي عن المملكة العمانية والتحاقها باجنبي عنها ولذلك رأينا ضرورة اعلام جنابكم باسم الامة العمانية بان الامة لا تعترف باي اتفاق خارجي يتعلق بالبلاد مع اي شخص كان ولا تقبل مداخلة اجنبية باي صورة كانت وتمزق بسيوفها كل راية محدثة مهما كانت صبغتها ولو في شبر من الارض داخل حدود مملكتها العمانية من ظفار الى قطر ومن البحر الى الربع الخالي وانها مستعدة لمحاربة كل من يتوسل الى ذلك باي وسيلة كانت ما دامت في افراد رجالها ذرة من الحياة لانها ترى مملكتها جسما واحدا لا يقبل التجزئة بوجه من الوجوه فنرجو تبليغ هذا الى حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى تلغرافيا ليكون في علمها خدمة للسلم وحقنا للدماء وفي الختام تقبلوا احترامنا وسلامنا .

كتبه عن اذن امام المسلمين المعظم

عيسى بن صالح الحارثي

احتجاج إمام عمان على الحكومة البريطانية